سقـــوط الإلحاد

على ضوء العلوم الحديثة

دراسة موجزة عن العلوم الحديثة
التي هدمت معاقل الفكر المادي الإلحادي

يقدمها
المفكر الموسوعي والباحث الإسلامي

أسامة علي أحمد الخضر

الطبعة الأولى

1440هـ / 2019م

رقم الإيداع بدار الكتب

(1255 / 2019م)

alkhader.osama1@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:31]



إلى كل باحثٍ عن الحقيقة

بعقلٍ مستنيرٍ وقلبٍ سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضات

- تعيش البشرية اليوم مأزقاً خطيراً وعميقاً، وهوفقدان المعنى والغاية من وجودها في هذا الكون.

- العلم الحديث في كل فروعه أسقط أكاذيب ومغالطات الفكر المادي الذي اعتمد عليه الملحدون، ولكن المشكلة هي: إما الجهل بهذه الحقائق وهذا هوالأغلب أوعدم الاعتراف بها من قبل بعض العلماء.

- البحث عن ديانة تنسجم مع حقائق العلم الحديث أصبح القضية الكبرى لعلماء عصرنا في كل أنحاء العالم، ولن يجدوا ذلك إلا في الإسلام.

- نظرية الخلق والتصميم الذكي للكون والحياة والإنسان هي البانوراما التي رآها العلماء كتفسير لكل الحقائق، والتي تؤكد وجود الخالق والمصمّم الأعظم وهوالله تعالى.

- يقول علماء الفيزياء والكون إنه منذ أن خُلق الكون وإلى الآن وكل شيء قد تم تصميمه بدقة مذهلة، كما لوأن الكون يعرف بأننا قادمون.

- القرآن الكريم هوالكتاب السماوي الوحيد الذي ضبط إيقاع حركة الإنسان مع قوانين الكون والطبيعة.

تـوطئـــة

لاشك أن أحد الأسباب الرئيسية في انتشار الإلحاد حالياً هو نظام التعليم الأكاديمي الهش الذي أنتج عقولاً غير قادرة على ربط مختلف الميادين العلمية في نظام سياقي مترابط يحقق الرؤية الشاملة التي ترى الغابة وليس فقط الأشجار المنفردة وهذا المطلب- بمعنى ترابط المعارف العلمية في نسق كلِّي موحد -أصبح ضرورة ملحة في عصرنا، حيث ثبت أن مشكلاتنا لا يمكن أن تُفهم بشكل منفصل؛ لأنها مشاكل متداخلة متشابكة يتعذر النظر إليها كأجزاء وتفاريق، ومن هنا بزغت الفكرة الحالية في العالم الغربي وهي مشروع المعرفة السياقية الكليّة ذات النموذج الشبكي للكون والحياة والإنسان، وهو المشروع الذي نطرحه في هذه الدراسة الموجزة ، ونحن نؤكد على وجوب تعليم هذه الرؤية، ليس فقط للأكاديميين وطلاب الجامعات، بل أيضاً للقادة السياسيين حتى يتم إنعاش البوصلة الأخلاقية المفقودة اليوم.

المقدمة

يقف الإنسان اليوم على هرم من المفاسد، وأهمها هي انهيار المنظومة الأخلاقية التي تجسّدت في الخواء المرير والشقاء والقلق والحيرة وغياب الإيمان وفقدان المعنى وانكسار الأهداف النبيلة وموت الضمائر؛ ممَّا جعل الإنسان اليوم يلجأ إلى المغامرات الحمقاء والشذوذ في السلوكيات وارتكاب الجرائم وإدمان المخدّرات والمسكرات، وقد أظهرت دراسة في منظمة الصحة العالمية في عام 2007م أن التكاليف لأمراض الكحول والحوادث والعنف بلغت أكثر من 200 مليار دولار في السنة الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها[1].

ناهيك عن اشتعال الأنانيات المسعورة والجري وراء التسليات الفاسدة والالتصاق غير المنضبط بالتقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي التي غرست الاهتمامات السطحية، فأصبح الإنسان المعاصر تافه المضمون عقيم الانتماء مسلوب الإرادة، وأصبح التنافس على الماديات والجري وراء الأسواق هما الإنجاز الذي يستحق العناء.

(1) Dean Radin, supernormal , 2013.P7

ومـن الكـوارث الكـبرى الحـروب العبثيـة الـتي تهـيج باسـتمرار لأسباب تافهة جوهرها الصراع على النفوذ والثروة لا غير؛ مهما كلَّفت من أثمان باهظة وسفك للدماء البريئة.

وهناك الأزمات الخطيرة ؛ مثل أزمة التغيُّر المناخي الذي ينذر بكارثة كبرى لكوكب الأرض، واستنزاف المصادر، وانقراض الأنواع النباتية والحيوانية، والتوزيع غير العادل للثروات، وزيادة الفقر والبطالة، ناهيك عن الإعلام الهابط الذي لم تعد مهمّته إلا تعميق السطحية والابتذال.

إن قوة العلم وتطبيقاته المسؤولة عن التقدم المادي والتقني قد صاحبه كل هذه المآسي التي يحياها البشر اليوم، والسبب واضح وهوغياب الإيمان الذي يوجّه إلى المثل العليا والغايات السامية، إن أسئلة مثل: كيف جاء الكون ؟ ولماذا خُلق ؟ وما هي الحكمة من وجودنا في هذه الحياة ؟! أصبحت مخنوقة في عصرنا، ومن العجيب أننا نعيش في عصر له القدرة العلمية الهائلة للإجابة عن هذه الأسئلة؛ إلا أننا أقل اتصالاً بهذه المعرفة، وحتى تخرج البشرية من كل هذه المآسي لا بد أن تعود إلى الدهشة والتساؤل، وأن تتعلم أن تضع تحت مشرط التحليل العلمي كل الفلسفات والخرافات التي تم نبذها من العلم منذ زمن طويل، وأولها الإلحاد الذي يعد السبب الرئيس لكل هذه المظاهر الحزينة.

إن الكثير من العلماء المحترفين يتجاهلون عمداً مسألة البحث عن مصدر القوانين العلمية التي يدرسونها؛ لأنهم لم يعودوا يستطيعوا أن يؤطّروها ضمن المصطلحات المادية والميكانيكية التي آمنوا بها إيماناً أعمى، وعلماء النفس قد أخبرونا عن الحيل الدفاعية التي يمتلكها الدماغ البشري ليزيّف الحقائق؛ منها القدرة على خداع الذات، وذلك عندما يتجاهل الإنسان أدلة تتناقض مع معتقداته، أوالتحيز والتعصب اللذين يخلقان دعماً وهمياً لأشياء نعتقد أنها صحيحة، ولقد برهن الطب النفسي على مقولة غاية في الدقة والتي تقول: «إنك لا تستطيع أن تغيَّر شيئاً ما لا تراه»؛ فطالما البشرية لم تعد ترى أنها تعيش في ظل هذا الجهل والانحطاط؛ فالفساد مستمر وسيتنامى.

إن الحل موجود ولكنه يحتاج إلى شجاعة ومثابرة وجدّية، إنه المعرفة العميقة لمنظومة العلوم بكل ميادينها وفروعها والتي كنست قمامة الفكر المادي والإلحادي إلى الأبد، وبدأت تبحث عن منظومة الدين الذي يعطي المعنى والغاية لوجودنا في هذا الكون، وأكتفي هنا بسرد بعض اعترافات لعلماء على أعلى مستوى في عصرنا.

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. بيير ليوجي ليوسي): «إنه من الواضح أن قدر البشر والحضارة سوف يتشكلان كثيراً بالتوازن بين التطور التقني

والحكمة الروحية؛ فمن الواضح أن العلم بدون روح سوف يقود إلى كارثة، وبالمقابل لا نستطيع أن ندير عالمنا الحديث المعقد باتجاه روحي محض»[2].

ويقول أحد أكبر علماء الكون حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية وهوالبروفيسور (جويل بريماك): «إننا نحتاج أن نأخذ العديد من الأفكار والصور من الدين حتى نفهم كيف نتصل مع الكون، إن التصور الديني له رنين أكثر من أي شيء آخر»[3].

لقد ألقى العلم سلاحه وبدأ يبحث عن الدين والحياة الروحية والأخلاقيات، ونحن نقول إن القرآن الكريم وهوالمعجزة الأعظم التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هوما يبحث عنه العلماء اليوم وما يلي هوالبرهان.

---

(2)Fritijof Capra and luigi Luisi , The systems view of Life , 2014p 276

(3)Joel Primack and Nancy Abrams ,The new universe and the human Future , 2011. p 206

أولاً: العلم والدين

الصراع والتناغم

مؤرّخو وفلاسفة العلم يتحدثون دائماً بأن الطبيعة قد بدت للإنسان البدائي كأنها محكومة بنقيضين؛ فهناك جانب من الطبيعة متمرّد لا يمكن السيطرة عليه أوالتنبؤ به مثل الزلازل والبراكين والكوارث عموماً، وهناك جانب آخر هادئ وسلس يمكن إخضاعه للخريطة العقلية التي تبحث عن النماذج والاتساقات التي تساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بها مستقبلاً مثل حركة الأجرام السماوية وتعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة.. وغيرها، ولا شك أن نموالنشاط العلمي قد ارتبط بالعد والقياس والتقسيم ووضع النماذج.

وإجمالاً لا يمكن رفض هذا الطرح، ولكن مشكلة الفكر الغربي تحديداً الذي تربّى على فصل الدين عن منظومة المعرفة البشرية لا يمكن أن يتصور أن وحي الله تعالى على الرسل والأنبياء كان هوشرارة العلم الأولى، ولكن حديثاً شهدنا بعض الدراسات الصادرة من كبار العلماء في الغرب تعترف بأن الدين كان هوالمعلّم الأول للبشرية؛ فمثلاً يقول أستاذ علم الفلك والكون البريطاني (د. بول ديفيس): «الدين هوالمحاولة المعرفية الأولى لتفسير الكون بشكل شامل»[1].

ويقول أحد أكبر علماء الحفريات والأنثروبولوجيا (علم دراسة أصول الإنسان) المعاصرين وهوالأمريكي (د. جي وينتزل هيوستين):

---

(1) Paul Davies, cosmic Jackpot, 2007 p19

«إن الإيمان الديني أحد أقدم الميول الخاصة والتي يمكن اكتشافها في سجل علم الآثار للبشر الحديث، وبهذا المعنى هناك غريزة طبيعية للدين تتحدّى وجهة النظر القائلة أن الدين يعد شيئاً غريباً أوحقيقة منعزلة عن العقل البشري»(2).

ويقول الفيزيائي وعالم النفس وأستاذ علم الباراسيكولوجي (علم دراسة الظواهر النفسية والروحية) الأمريكي (د.دين رادن): «على خلاف العلم فالخبرات الدينية قد سُجّلت منذ آلاف السنين؛ فهي أقدم بكثير من القرون القليلة للتاريخ العلمي»(3).

إنها اعترافات تؤكد أن الدين يعد أستاذ البشرية الأول قبل العلم، وهناك في القرآن الكريم إشارة غاية في الروعة والإعجاز إلى قضية الأستاذية العلمية للأنبياء والرسل.

لقد ورد اسم النبي (إدريس) عليه السلام مرتين في القرآن؛ مرة في قوله تعالى: ﴿**وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[مريم 56-57].

ومرة في قوله تعالى: ﴿**وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾[الأنبياء 85].

---

(2) J. wentzel van huysteen, a lone in the world, 2006.p204

(3)Dean Radin , supernormal ,2013.p11

والمشهور والمحقق أن اسم النبي إدريس في العبرية هو(أخنوخ)، وانه أول نبي من ذرية آدم عليه السلام سابق على نوح عليه السلام، واسم (أخنوخ) في العبرية هونفسه إدريس في القرآن؛ لأن اسم إدريس معناه (الفقيه الحاذق) ويأتي من الدراسة، و(أخنوخ) في العبرية أصلها (حنوك) التي تنطق كافها خاء في قواعد النطق في اللغة العبرية إذا تحرّك أواعتل ما قبلها؛ فهي في العبرية (خنوخ) عرّبها العرب إلى (أخنوخ) ، وأما معنى (حنوك) العبرية فهي على المفعولية من الفعل العربي (حنَّك) على معنى حنَّكه؛ أي فقّهه وثقّفه وعلَّمه.

ولقد جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المجلد السادس) ص 108/107: «إدريس أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، وسُمّي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى».

وهنا برهان قرآني عظيم على أن وحي الله تعالى على رسله وأنبيائه هوالمعلّم الأول للبشرية قبل الملاحظات ورصد الظواهر.

أما إذا شئنا أن ندرس تطور المعرفة العلمية فهذه الدراسة الموجزة لن تفي بالغرض، لكن يمكن لنا أن نقسّم باختصار مراحل التطور العلمي إلى عصور متميّزة:-

أولاً: الحضارات المصرية والبابلية: تشير الدراسات إلى أن

الحضارة البابلية تقدمت في علوم الفلك؛ حيث استخدموا الحساب في دراسة حركة الكواكب والنجوم وقياس الزمن، أما الحضارة المصرية فقد أدّى ضغط الحاجة العملية لديهم -بسبب فيضانات النيل المتكررة- إلى إقامة السدود وشق قنوات الري ،ممّا استلزم ابتكار أساليب هندسية ورياضية، ولكن إجمالاً كانت هذه الحضارات عملية أكثر منها تأملية وفلسفية.

ثانيـاً: الحضـارة اليونانيـة: كانت السمة السائدة على هذه الحضارة هي التفكير التأملي وإهمال التجربة لحد بعيد، وقد تكوّنت في هذه الحضارة مدرستان فلسفيتان؛ **الأولى**: المدرسة المادية التي تنادي بان المادة وقوانينها هي الحقيقة الأولى؛ فالكون والحياة والإنسان نتيجة لقوانين مادية ميكانيكية غير موجهة.

الثانية: المدرسة العقلية التي تنادي بأن العقل والذكاء هما الحقيقة الأولى وكل القوانين نتيجة للتصميم الذكي، والمدرسة الثانية هي التي أقرّها العلم الحديث وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الدراسة.

ثالثاً: العصر الوسيط الأوروبي المسيحي: كان هذا العصر هو الكارثة الكبرى التي لا يزال يعاني منها الفكر الغربي إلى اليوم وهو عصر الصراع بين العلم والدين، ومعروف ما حدث عندما حكمت الكنيسة في العصر الوسيط وما عاناه العلماء من قتل ومحاكمات وقمع وذلك بسبب التناقضات الهائلة بين الكتاب المقدس (التوراة

والأناجيل) وبين حقائق العلم التي ولّدت كل هذه الفصامية الرهيبة بين الدين والعلم، ونشأت عنها كل الفلسفات الإلحادية والعبثية المسؤولة عن الانهيار الذي تعانيه البشرية اليوم.

يقول البيولوجي الأمريكي (د. داريل فالك): «مجتمع أمريكا الشمالية يجد من الصعب التوفيق بين العلم والدين، وهذه من أعظم المآسي في الثقافة الحالية»(4).

ويقول أستاذ الرياضيات والمتخصص في نظرية المعلومات البيولوجية الأمريكي(د.ويليام ديمبسكي): «إن أكثر صعوبة هي إيجاد حوار بين الدين والعلم خاصة بعد أن تم وضعهما تحت دائرة الصراع والتقسيم في المجتمع المسيحي»(5).

وهنا مفارقة... الغرب معذور في هذا الصراع بين العلم والدين، ولكن لماذا المسلمون ينعقون بالصراع بين العلم والدين، ويتجاهلون عمدًا كل تلك التوجيهات القرآنية التي لا حصر لها والتي تأمر بالأخذ بأسباب العلم والتفكير العقلاني المنظم؟!

إنها مفارقة لا تفسير لها إلاّ ذلك الوعي العربي المشلول الذي أصبح يردد كالببغاء ما يقوله الأسياد من أعداء الدين الإسلامي

(4)Darel Falk , coming to peace with science , 2004.p9

(5)William Dembski , intelligent Design , 1999.p193

الذين لاهمّ لهم إلا زعزعة الثقة في القرآن الكريم ولكن هيهات.

رابعاً: العصر الوسيط الإسلامي: الكثير من الفلاسفة الملحدين يرون أن موقف علماء الأديان أشبه برجل يكتب شيكاً لا رصيد له؛ فقد صاغوا عبارات لا تكمن وراءها حقائق علمية، وهذه العبارة تلخص الفكر الإلحادي بالكامل ولكنها تحمل مغالطة من جانبين:

1- هناك الخلط الذي يأتي من عدم تحديد الأطر التي يتحرك فيها العلم والدين؛ فإطار العلم محدد بكشف العلاقات السببية والتي تنتظم وفقها قوانين الكون والطبيعة، وأما الدين فمحدَّد باستراتيجية محددة وهي رسول مؤيد بمعجزة خارقة تؤيد صدق دعوته، وعلى الرغم من ذلك فإن العلم وقوانينه قد أصبح أكبر داعم للإيمان الديني وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الدراسة.

2- يتجاهل الملحدون والماديون عمداً فحص معجزة القرآن الكريم فحصاً علمياً موضوعياً على ضوء العلم الحديث؛ لأنهم لوكانوا منصفين لأدركوا معجزة القرآن الكريم العلمية التي لا يمكن تفسيرها إلا بأن القرآن هووحي الله تعالى بلا جدال.

لقد بعث الله تعالى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أمةٍ لم تتفوق إلا في الفصاحة والبلاغة؛ فقد كان الشعر أثمن ما يملكه العربي القديم، بل كان العرب يسجدون للشعر تعظيماً وتشريفاً، وكانت الأسواق التجارية تتحول إلى مهرجانات تُعرض فيها بضاعة الكلمة والبيان، وفي هذا المناخ الثقافي والأدبي جاء

القـرآن يتحـدّى فحـول الإبـداع ولم يسـتطيعوا أن يـأتوا بأقـل سـورة قرآنية إلى أن أقفل عليهم القرآن الباب وإلى اليوم فقال تعالى﴿**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء 88].

وقد اعترف الكثير من علماء الغرب المنصفين بمعجزة القرآن اللغوية والبلاغية؛ منهم أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا) الذي يقول: «تعد كلمات القرآن كنوزاً بحيث أفضل الجهود والكفاءات فقط هي التي يمكن أن تفهمها»[6].

هذا اعتراف عالم غربي غير مسلم ويا سبحان الله!

لكن رسالة الإسلام عالمية إلى أن تقوم الساعة ، فكان لابد أن يحمل القرآن معجزة أخرى مدّخرة لمستقبل البشرية وهي معجزة السبق العلمي في عصر الكشوفات العلمية المذهلة، ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا منذ أكثر من 1400 عام بأن مستقبل البشرية هوالتقدم العلمي في علوم الكون والحياة؛ فيقول تعالى﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**﴾[فصلت 53].

إنها الكشوفات العلمية في آفاق الكون والحياة التي أصبحت ثمرة يانعة لمن أراد إن يقطف ثمارها، وأريد هنا أن أشير إلى

(6) Fazale Rana , the cell’s Design, 2008.p141

نقطتين مهمتين تبينـان مدى النقلة الهائلة التي جاء بها القرآن والتي ظهرت فقط في العصر الحالي:

1- لقد كان العرب القدماء يسيرون في الأرض يتنقلون في أرجائها للتجارة والعيش وما يتعلق بالبقاء من صيد ورعي، بل وأحياناً كثيرة كانوا يهاجمون القوافل ويغيرون على قبائل أخرى للسلب والنهب؛ فينزل القرآن في هذه الأمة الجاهلة فيوجِّه هذا التوجيه العظيم ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾[العنكبوت 20].

في تلك البيئة الأمية تنزل هذه الآية القرآنية لترسم واحدة من أعظم المناهج العلمية لاستكشاف تاريخ خلق الأرض، والتي لم تكتشف إلاّ في القرن العشرين؛ عندما عرف علماء الجيولوجيا (علم الأرض) وعلماء الحفريات بأن تاريخ الحياة منذ أن خُلقت الأرض مكتوب في سجلات محفوظة في صخور وطبقات الكرة الأرضية، بل إن هناك عناصر إشعاعية معينة تعمل بمثابة ساعة زمنية تسجّل تاريخ الحياة.

يقول عالم الحفريات البريطاني (د. أندريه باركر): «إن تاريخ الأرض مكتوب في الصخور كحفريات منحفظة في البيئات البدائية»[7].

إنها نقلة هائلة بين السير في الأرض من أجل الحياة، وبين السير في الأرض لمعرفة كيف بدأت الحياة.

(7) Andrew parker, in the blink of an eye, 2003.p11

2- نجد أن الكثير من آيات القرآن بعد أن تعرض مشاهد الكون تشير إلى أنها دلالة كاشفة عن قدرة وإبداع الخالق؛ فمثلاً في سورة (ق) نجد أنه بعد عرض الكثير من مشاهد الكون والطبيعة يقول الله تعالى ﴿**تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾ [ق7].

هذه هي الوصلة بين العقل البشري وبين إيقاعات هذا الكون، والتي تشير إلى التصميم والتدبير الإلهي، هذا ما اكتشفه العلم الحديث؛ فمثلاً يقول الفيزيائي الرائع (د. ألبرت أينشتين): «إن تناغم القوانين تكشف عن ذكاء متفوق ، وبالمقارنة مع هذا الذكاء كل التفكير المنهجي للكائنات البشرية هوانعكاس بسيط لهذا الذكاء»[8].

وهذه الرؤية الإيمانية لقوانين الكون هي التي قطعها المنهج العلمي منذ عصر النهضة وإلى اليوم عندما تم تجريد العلم من الغاية والمعنى والهدف؛ فأصبحت البشرية تعيش بدون حكمة ولا قيادة أخلاقية تنظّم إيقاع حركتها، وأصبح اللهث وراء التطبيقات فقط هو الغاية من العلم، وقد اعترف العديد من العلماء بهذه الكارثة، فيقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «في القرون التي تلت عصر النهضة اختفت الإلوهية بالكامل من الرؤية العلمية فتركت وراءها هذا الفراغ الروحي الذي أصبح الخاصية لميدان الثقافة الحديثة» [9].

(8) Cited in Hank Hanegraf, fatal flaws, 2003.p59

(9) Frititof capra and luigi luisi, the systems view of life, 2014.p29

ويقول أستاذ الرياضيات الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي): «إن إبعاد اللّه عن الكون ورؤية الكون أو العالم بأنه مجرّد مادة هو السبب الجوهري في سقوط البشرية»[10].

وعلى الرغم من أن الكثير من علماء الغرب لا يعترفون أو يجهلون أن سبب كل هذا التطور المعرفي الذي ينعم به الغرب هو الدين الإسلامي؛ فهناك القلة من المنصفين الذين يؤكدون هذه الحقيقة، فيقول أستاذ علوم الكون الأمريكي (د. جويل بريماك): «إن التفكير المتحجّر في العصر الوسيط في أوروبا قد تكسّر وتم سحقه عندما الحملات الصليبية ما بين 1100م- 1300م عرّضت الأوربيين لعقول منفتحة بدرجة عالية هم أصحاب الثقافة العربية»[11].

لكن من الغريب أن المسلمين أنفسهم نسوا حتى هذا التاريخ المشرِّف ورضوا بالوضع الدوني أمام الغرب في كل شيء.

خامساً: بدءاً من القرن السادس عشر بعد أن لقحّت الحضارة الإسلامية الغرب بأدوات المنهج العلمي لاستكشاف قوانين الكون؛ خرج العقل الغربي من زنزانته وفرد العلم أجنحته في السماء وبدأ الانسلاخ من الدين يكون هوالأجندة الفكرية والثقافية، وأصبح

(10) Dembiski, ibid. p99

(11) Joel primack and Nancy Abrams , the view from the center of the universe, 2006.p72

اللجوء إلى التفسيرات العلمية المادية والطبيعية هوشعار التقدم وتم تنحية السلطة الدينية تماماً، وقد ظهر اثنان من أكبر المفكرين في أوروبا واللذان دافعا بقوة عن فكرة البحث عن قوانين طبيعية ميكانيكية تحكم الكون وهما: الفيلسوف الإنجليزي (فرانسس بيكون) (1561م- ـ1626م) والذي رأى أنه يجب أن لا تمتزج الأفكار الدينية مع العلم وأراد حصر العلم في دراسة الأسباب العاملة كقوانين ميكانيكية فقط.

والثاني هوالفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي (رينيه ديكارت)(1596م -1650م) وكان من أعظم علماء عصره والذي نادي أيضاً بأن العلم لا بد أن يكون محصوراً في التفسيرات المادية والميكانيكية؛ فبالنسبة لديكارت الكون المادي بكل محتوياته يعد ماكينة ولا شيء غير الماكينة والطبيعة تعمل طبقاً لقوانين آلية، وكل شيء في العالم المادي يُفسّر بمصطلحات التنظيم والحركة لأجزائه، وهي فكرة تسمّى (الاختزالية) Reduction .

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «هذه الصورة الميكانيكية للكون أصبحت النموذج الإرشادي السائد للعلم في الفترة التالية لديكارت ، لقد أعطى ديكارت الفكر العلمي إطاره العام والرؤية بأن الطبيعة ماكينة مثالية محكومة بقوانين رياضية دقيقة»[12].

(12)Capra and luisi, Ibid.p25

ومن هنا جاءت الفلسفة العامة التي لا تزال تطوّق العلم لحد الآن وهي (كون بلا غرض)؛ فليس هناك خالق ولا معنى ولا غاية، ومن هذه الأكذوبة ظهرت النظريات الإلحادية مثل الماركسية في الاقتصاد، والنظرية الداروينية في علم الحياة، وظهرت الفلسفات العبثية مثل الوجودية والعدمية والتفكيكية التي قررت أن الكون مجرد صدفة والحياة لعبة حظ لا أكثر، وأصبحت الفلسفة المادية هي الهواء الثقافي الذي يتنفسه الجميع في هذا العصر.

والآن حان الوقت أن ندرس -باختصار- كيف تطورت المعرفة العلمية في كل فروعها من عصر النهضة وإلى اليوم وسنرى المغالطة والخدعة الكبرى التي وقع فيها بعض العلماء المحترفين وفلاسفة العلم الذين لا يفحصون ولا يدققون ولا يتعمّقون فيما حدث بالفعل في الفكر العلمي، وسنبرهن بأن العلم في كل فروعه، وإن كان قد بدأ ميكانيكياً مادياً رافضاً للدين؛ فإنه قد عاد أخيراً إلى حظيرة الإيمان بالله تعالى نافضاً عنه غبار كل أكاذيب وخرافات الإلحاد، ولعل من أروع الفقرات التي تؤكد هذا التحول للعلم من الإلحاد إلى الإيمان هي التي وردت من أستاذ علم الفلك والكون الأمريكي (د.روبرت جاسترو) الذي قال: «بالنسبة للعالِم الذي عاش بإيمانه بقوة العقل تنتهي القصة مثل حلم رديء، فلقد اجتاز كمّيات هائلة من المجاهيل وأمّن السيطرة على القمة الأعلى، وكلّما يسحب نفسه

على الصخرة النهائية يُرحب به من قبل علماء الدين الذين يجلسون هناك لقرون»[13].

ويؤكد هذه الحقيقة الفيزيائي البريطاني (د. جون بولكنهجورن) بقوله: «إننا نعيش في عصر فيه إحياء عظيم للدين، وذلك الإحياء للدين لا يأخذ مكانه فقط بين رجال الدين بل بين العلماء أيضاً»[14].

إننا في هذه الدراسة المختصرة سنبين أيضاً أهمية الرؤية الشاملة للمعرفة العلمية التي يرى العلماء اليوم أنها هي علم القرن الحادي والعشرين، وسنبرهن بأن هذه البانوراما العلمية برهنت على نظرية الخلق والتصميم الذكي، وأنها هي النظرية التي تعد الخلفية الحقيقية لمسرح الكون والحياة، يقول الطبيب وأستاذ علم النفس وعالم الأعصاب الدماغية الأمريكي (د. جاري شوارتز): «إن تطور العلم الكلّي والمندمج سوف يكتشف ترابطات داخلية والتي تسمح بأن نكتشف التصميم الذكي الخلّاق على كل مستويات العلوم»[15].

وهذه هي بالضبط الرؤية الشاملة والكاملة للكون والحياة التي أمر بها القرآن الكريم منذ أكثر 1400عام.

يقول تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن

---

(13) Cited in Denyse o'leary, By Design or by chance, 2004.p17

(14) Cited in Michael Behe, Science and evidence for design in the universe, 2000 p65-66

(15) Gary Schwartz, the god Experiments, 2006.p 158

شَيۡءٖ﴾ [الأعراف 185].

ويقول تعالى ﴿**قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾** [يونس 101].

ومن خلال هذه الرؤية البانورامية سنقف عند بعض آيات القرآن الكريم العلمية التي سبقت كل هذه التطورات، وللأسف لن نستطيع الإشارة إلى الكم الهائل من الآيات العلمية، ولكننا كما قلنا سنقف عند إشارات قرآنية مذهلة تبرهن على أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يتناغم مع العلوم الحديثة ويضمن القيادة الأخلاقية للبشرية الضائعة اليوم، ولا ننسى أن نقول انه مهما نعق الناعقون ونادوا برفض هذا الربط بين القرآن والعلم؛ فإننا نطمئنهم بأننا -بإذن الله تعالى- لن نتخلى عن هذه المهمة حتى نلقى وجه ربنا الكريم ويشملنا برحمته ولطفه إنه سميع مجيب.

ثانياً: علم الفيزياء

من المادية إلى أولية الوعي

Physics

تحدّثنا أنه بعد أن لقّحت الحضارة الإسلامية العالم الغربي بالمنهجية العلمية والأدوات الكاشفة للقوانين تغيّر التفكير العلمي في القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا، وبدأت تتوالى الاكتشافات العلمية مبشّرة بعصر جديد يقطف العالم الغربي ثماره اليوم.

ظهر الفيزيائي الايطالي (جاليليوجاليلي) (1564م - 1642م) والذي يعد المسؤول عن إرساء بواكير العلم الفيزيائي الحديث، وقام بالعديد من الملاحظات والتجارب، واكتشف منها العديد من القوانين الفيزيائية، ورسّخ جاليليوفكرة مهّمة وهي أن العلم هوصياغة قوانين الكون في شكل معادلات رياضية، وقد كان جاليليومن المؤيدين لفكرة دوران الأرض حول الشمس لكنه واجه تحدياً كبيراً من رجال الكنيسة ورجال الدين وتمّت محاكمته، وكانت بداية اشتعال الصراع بين المعرفة العلمية المنظّمة وبين الدين المتناقض مع حقائق العلم.

لقد كانت إنجازات جاليليو الفيزيائية والفلكية هائلة ولا يتسع المجال لذكرها هنا تفصيلاً، لكني أريد أن أذكر شيئاً مهماً جداً هنا هو هل كان الفيزيائي جاليليو الذي اكتشف العديد من القوانين العلمية ملحداً ؟. هل رأى تناقضاً بين قوانين الكون وبين الإيمان بالله تعالى الخالق ؟.. أبداً على الإطلاق؛ فمن المحال أن عبقرياً مثل جاليليو يرى هذا التناسق والنظام ودقة القوانين الرياضية

وينسـبها إلى العشـوائية والصـدفة كمـا يـرى الملحـدون، يقـول (جاليليو): «إنني أتمنى أن الحكمة اللانهائية للّه يمكنها أن توجّه أشعة صغيرة من عظمته لتعطيني استنارة صغيرة عن المعاني الخفية لكلماته»[1].

ثم جاء الفيزيائي البريطاني (إسحاق نيوتن) (1642م-1727م) ودشّن الصرح الفيزيائي الكلاسيكي الضخم الذي يرتكز على أن الكون مجرد نقاط رياضية (أجرام سماوية)، تتحرك بفعل قوانين ميكانيكية على مسرح من المكان المطلق اللانهائي الثابت (الفضاء الكوني)، والزمان المطلق المتجانس والخالد الذي يعم أرجاء الكون كله؛ بمعنى أن المكان (الفضاء) والزمان كيانان غير قابلين للتغيّر واعتبرهما نيوتن؛ أي (المكان والزمان)، كينونات لا تلعب أي دور في المسرحية الكونية ومنفصلة تماماً، كذلك اعتبر نيوتن أن الجسيمات النهائية للمادة كتل صلبة غير قابلة للتحطيم، ومن هنا نشأت فكرة معاملة الأجرام السماوية والأجسام النهائية للمادة مثل كرات البلياردو التي تتقاذفها القوى منذ الأزل، ولقد قادت قوانين نيوتن الميكانيكية إلى اكتشاف كوكب نبتون، وتنبأت بحركات الأجرام السماوية بدقة مذهلة، وربطت قوانين نيوتن بين السماء والأرض وفسّرت ظواهر المد والجزر لحد أن الفلكي (إدموند هالي) تنبأ عن

(1)Cited in Darrel Falk, coming to peace with science,2004.p29

طريق تطبيق قوانين نيوتن بمرور المذنّب (هالي) على المجموعة الشمسية كل 76 سنة وصدقت النبوءة، وتعد قوانين نيوتن هي الأساس لأنظمة التحكم التي نستخدمها لوضع الأقمار الصناعية التواصلية على مدارات مستقرة حول الأرض، ولإرسال سفن الفضاء التي تطوف بين الكواكب.

ومن هنا هلّل الملحدون، فالكون محكوم بقوانين مادية وميكانيكية دقيقة فأين الإله ؟ ولماذا الإيمان به ؟.. إن الكون آلة ميكانيكية تتحرك بدون الحاجة إلى خالق ولا مصمّم وهذه الطنطنة هي التي سادت منذ عصر نيوتن وإلى اليوم، ولكن من الرائع أن الفيزيائي إسحاق نيوتن نفسه وهو مبدع هذا الصرح الفيزيائي الضخم كان يرى شيئاً مغايراً؛ فهذه الدقة الرياضية لقوانين الكون تدل على وجود الخالق والتصميم الذكي ، لأن القوانين تحتاج بداهة إلى مقنن، يقول الفيزيائي إسحاق نيوتن في كتابة (المبادئ): «هذا النظام الجميل للشمس والكواكب والمذنّبات يمكن له أن يظهر فقط من هيمنة إبداع كائن ذكي وقوي»[2].

هذا ما يقوله نيوتن العبقري وليس مرضى القلوب الذين لا يرون إلاّ أهواءهم لا غير.

---

(2) Cited in Menas Kafatos and Thalia Kafatos, looking in seeing out,1991.p22

ومن إعجاز القرآن الكريم أن الله تعالى يذكر لنا أنه سبحانه قد خلق الكون وفق قوانين رياضية دقيقة فيقول تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾[الرحمن 6].

إنه الميزان الدقيق الذي خلق الله تعالى به الكون وجاء نيوتن ليوضّحه علمياً، وهكذا التناغم بين العلم والدين يتضح بأنصع صورة، ونستطيع أن نلخص أهم الأفكار التي نتجت عن ميكانيكا نيوتن التي اتخذها العلماء والفلاسفة نموذجاً إرشادياً توجّه أنشطتهم البحثية في كل المجالات كالتالي:

1- الاستمرارية: Continuity: أي أن حركة الكون والطبيعة محكومة بقوانين مستمرة، بمعنى أنها تتغير خطوة إثر خطوة بشكل تدرّجي في المكان والزمان، الأمر الذي يعني عدم وجود قفزات مفاجئة متقطعة.

2- الحتمية: Determinism: أي أن قوانين الكون والطبيعة محكومة بقوانين حتمية تتقدم بشكل منتظم، ويمكن التنبؤ بها مستقبلاً ، وذلك بسبب الحركة المستمرة المتصلة للأجرام السماوية.

3- المحلية: Locality: أي أن قوانين الكون والطبيعة غير مترابطة، ولا مجال لوجود تأثير فوري بين الأشياء؛ أي عدم وجود الترابطية والتشابك والنسيج الشبكي المتداخل.

4- السببية: Causality: أي أن قوانين الكون محكومة بالسببية

المادية الميكانيكية ولا حاجة بنا لافتراض وعي أوخالق ومصمّم خلق الكون ويسيّر قوانينه من خارج المكان والزمان.

هذه هي أهم النماذج التي وجهّت العلماء والباحثين كنتيجة لنجاح فيزياء نيوتن؛ ليس فقط في علوم الكون بل في كل العلوم مثل علوم الحياة وأهمها نظرية دارون للتطور، وعلم النفس الذي أسّسه (سيجموند فرويد) وعالم النفس (بي سكنر) صاحب المدرسة السلوكية وعلم الاجتماع الذي أسّسه في أوروبا (أوجست كومت) و(ماكس فيبر) و(إميل دوركايم)، وعلم الاقتصاد الذي كان أهم أبطاله (كارل ماركس)و(آدم سميث)و(توماس مالتوس)، وهكذا تكاملت الصورة الإلحادية في كل العلوم.

يقول الفيزيائيان الأمريكيان (د.بروس روزنبليم و(د.فريد كتنر): «فيزياء نيوتن أصبحت النموذج لكل الجهود العلمية»[3].

ولكن جرت الرياح بما لا يشتهي الإلحاد، وتقدّمت الكشوفات العلمية فإذا هي مطارق حديدية تطحن المشروع المادي والميكانيكي طحناً، وتبيّن أن الحقيقة الأعمق للكون والحياة هي الخلق والتصميم الذكي والإيمان بالله تعالى؛ فهيا لنرى كيف تم ذلك؟!

كانت الثورة الأولى التي هزّت أساس فيزياء نيوتن على يد الفيزيائي

---

(3) Bruce Rosenblum and Fred Kuttner, quantum enigma,2006.p36

التجريبي الإنجليزي (مايكل فاراداي) (1791م -1867م) الذي لاحظ أنه بنثر برادة الحديد على مغناطيس تتخذ البرادة نموذجاً منتظماً من الأقواس، واستنتج فاراداي أن المغناطيس يخلق حوله حقلاً أومجالاً مغناطيسياً (field) غير مرئي يملأ الفراغ ويمارس قوة وراء جسم المغناطيس نفسه، وكانت أول إشارة إلى أن الفراغ الفيزيائي فعّال ومؤثر على عكس ما توقعه نيوتن.

ثم جاءت الثورة الثانية عندما اكتشف الفيزيائي الدنماركي أورستد (1777م-1851م) -بمحض المصادفة- أن التيار الكهربي يولّد حقلاً مغناطيسياً، وبالمقابل اكتشف (فاراداي) أن الحقل المغناطيسي المتغير يولّد تياراً كهربياً، ثم جاء الفيزيائي والرياضي البريطاني الرائع (جيمس كلارك ماكسويل)(1831م-1879م) الذي استطاع بمهارته الرياضية أن يبتكر أربع معادلات رياضية وحدّت الحقلين الكهربي والمغناطيسي في حقل واحد (الحقل الكهرومغناطيسي)، واعتماداً على هذه المعادلات الرياضية تم اكتشاف أن الضوء نفسه عبارة عن ظاهرة كهرومغناطيسية تسير في الفضاء بسرعة 300,000كم /ث، وقد اعترف الفيزيائي والرياضي ماكسويل بدقة التصميم الرياضي في هذا الكون؛ فقال: «إن الفكرة التي تقول إن أعمال الطبيعة تعكس عمل ذهني مُصممٍ تعد حقيقة» [4].

(4)Cited in Stephen Meyer, Signature in the cell,2006.p145

اعتـراف بالخـالق والمصمّم لهـذا الكـون وهـوالله تعـالى، وتوالـت الاكتشافات التي أكدت أن الضوء المرئي ما هوإلا شريحة مرئية من نطـاق طيـف لإشـعاعات كهرومغناطيسـية غـير مرئيـة، مثـل موجـات الأشـعة فـوق البنفسـجية وأشـعة جامـا وأشـعة X والأشـعة تحـت الحمـراء وأشـعة الراديووواللاسـلكي، وهـي إشـعاعات غـير مرئيـة وجميعها تسير بسرعة الضوء، هي تملأ أرجاء الكون وكانت السبب في ثـورة تقنيـة الاتصـالات اللاسـلكية الـتي جعلـت الأرض قريـة صغيرة، بل أصبحت تقدم معلومات عن الكون بأسره.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا بأن هناك أشياء لا نراهـا بحواسـنا القاصـرة، ومنـها هـذه الإشـعاعات غـير المرئيـة للطيـف الكهرومغناطيسي؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿**فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ**﴾[الحاقة 38-39].

إنـه قسـم إلهـي بـأن هنـاك مـا نـراه ومـالا نـراه قبـل أن يعـرف الإنسان كل هـذه الظـواهر غير المرئيـة الـتي لم تُعرف إلا في القـرن التاســع عشــر والقــرن العشــرين، وهــذه الثــورة للظــواهر الكهرومغناطيسية جاءت بأفكار فيزيائيـة ثوريـة؛ لأن فيزيـاء نيـوتن اعتمدت على أن الأجرام السماوية تتحرك بفعل قوة الجاذبية في مكان مطلق؛ أي فراغ لا نهائي صلب وثابت وغير فعّال، إلا أنـه مـع مجـيء الفيزيـائيين فـاراداي وماكسـويل ظهـرت حقيقـة فيزيائيـة

جديدة وهـي فكـرة الحقـول الكهرومغناطيسـية الموجيـة الـتي تنتشـر علـى شـكل أمـواج بـين الأجسـام، وهـذه الثـورة مهـدّت للثـورة الكبـرى الـتي دشـنها الفيزيـائي الرائـع (د. ألـبرت أينشـتين) في نظريتـه النسبية الخاصة والعامة (relativity theory).

قـدّم الفيزيـائي الألمـاني (د. الـبرت أينشـتين) (1879م–1955م) بحثـاً رائعـاً في عـام 1905م فجّـر فيـه أحد أعظـم انتصـارات العقـل البشـري في فهـم الكـون وهـي نظريـة النسـبية الخاصـة، والـتي عـن طريق ضغوط تجريبية عديدة أقنعته بضرورة افتـراض ثبـات سـرعة الضوء 300.000 كيلومتر/ث مهما كانـت حركـة المصـدر، وأن سـرعة الضوء تعد هي السرعة القصوى في الكون، ومن هذا المنطلق بـرهن أن مفـاهيم المكـان والزمـان نسـبية ومرنـة وتعتمـد علـى الراصـد، فالمكـان يمكـن أن يـتقلّص، والزمـان يـتغير انسـيابه اعتمـاداً علـى الحركة، وبذلك نسـف أينشتين تصـورات نيـوتن عـن المكـان والزمـان المطلقـين، بـل إن أينشـتين بـرهن بمسـاعدة الرياضـي (هرمـان منكوفسكي) أن مفاهيم المكان والزمـان موحّـدة ومندمجـة ولا يمكـن الـتفكير في مكـان بـدون زمـان والعكـس، وأسمـى أينشـتين الكـون (بالمتصل الزمكاني رباعي الأبعاد)؛ ثلاثة أبعـاد للمكـان وهـي الطـول والعرض والارتفاع والبعد الزمني هوالرابع.

إن اكتشـاف أينشـتين في نظريتـه النسـبية الخاصـة بـأن الـزمن

متغير ونسبي وليس مطلقا قد نطق به القرآن الكريم قبل 1400 عام عندما ذكر القرآن حادثة العبد الصالح في قوله تعالى﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة 259].

والآية الكريمة تشير إلى نسبية الزمن بشكل واضح؛ فما اعتبره العبد الصالح يوماً أوبعض يوم كان في الواقع 100 عام، كذلك من نتائج نظرية النسبية الخاصة أنها حطمّت السد الوهمي بين المادة والطاقة، وبرهن أينشتين على أن المادة ما هي إلا طاقة حبيسة في معادلته المشهورة (الطاقة = الكتلة X مربع سرعة الضوء)، وكان انفجار القنبلة الذريّة ثمرة هذه المعادلة التاريخية، وبذلك انهار الصرح المادي بأكمله؛ فالمادة التي اعتبرها نيوتن صلبة وغير قابلة للتحطيم تحطّمت، وأصبح الكون تنظيماً غير مرئي للطاقة.

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي) «الكتلة في الفيزياء الحديثة ليست موصوفة إطلاقاً بالعنصر المادي، ومن هنا لا تُرى الجسيمات بأنها تحتوي على أي مادة أساسية بل رزم من الطاقة»[5].

(5) Fritjof Capra and Luigi Luisi,the systems view of life,2014.p76

ونلحــظ هنــا أن الفيزيــاء الكونيــة دخلــت مســرح التكامليــة والترابطيــة، فالمكــان والزمــان أصــبحا متصــلاً زمكانيــاً، والمــادة والطاقة عملتان لصورة واحدة بعد أن كانت هذه المفاهيم مفككة وغير مترابطة في ميكانيك نيوتن، وهنا لابد من التنويه إلى نقطه مهمة حيث الكثير من الفيزيائيين وبعض من يقرأون في المواقع الإلكترونية المضللة أن هناك سرعات أسرع من الضوء، فبالتالي النسبية الخاصة خاطئة وهذا خطأ؛ لأن النسبية الخاصة تخص مواقــع محليــة في الفضــاء دون أن تشــير إلى الجاذبيــة وبــدخول الجاذبية الكونية فالسرعات تتجاوز سرعة الضوء ولا تناقض.

ثم اتبــع أينشــتين في عــام 1916م نظريتــه الخاصــة بنظريتــه النسبية العامة والتي عالجت مفهوم الجاذبية بمنطق جديد للغاية، فقد اعتبر نيوتن الجاذبية قوة مجهولة الهوية تؤثر على الأجرام عن بعد بشكل فوري، لكن أينشتين -بسبب العديد من الظواهر لا يتسع المقام لذكرها- اعتبر الجاذبية قوة هندسية زمكانية تُمثّل بحقل أومجال جذبي منحني مقوّس؛ بحيث الأجرام السماوية الكبيرة مثل الشمس تخلق حولها مجالاً منحنياً للزمكان يؤثر على الخواص القياسية للفضاء والزمن فتسلك الكواكب في هذه المسارات الملتفة والمنحنية، ويمكن تمثيل فكرة أينشتين عن تقوّس الزمكان الكوني مثل قطعة قماش ممتدة، وعندما يتم وضع كرة ثقيلة في المنتصف فهي تجعل القماش ينحني ويلتف وهكذا تصور أينشتين كتلة الشمس

التي تقوّس الزمكان من حولها.

والمعـادلات المتعلقـة بانحنـاء الزمكـان تسـمى معـادلات الحقـل لأينشتين، وهي لا تحدد فقط التغيرات المحلّية للانحناء بالقرب من النجوم الضخمة، بل تحدّد كمية الانحناء للفضاء الكوني بأكمله.

وقد تعرّضت نظرية الجاذبية لأينشتين لعدة اختبارات، وكلها أكدت بشكل ساحق تنبؤات أينشتين، وللأسف لا يمكن إعطاء تفاصيل هنا لكن سنكتفي بما قاله أحد أعظم الفيزيائيين وهوالفيزيائي والرياضي البريطاني (د.روجربنروز) الذي قال: «النسبية العامة لأينشتين أكثر نظرية تم اختبارها بدقة في العلم»[6].

وعن نظرية النسبية العامة لأينشتين في الجاذبية يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. ميناس كافاتوس) «النسبية العامة تعد أكثر النظريات أناقة من الناحية الرياضية أنتجها العقل البشري، وهي ببساطة تخبرنا أن المادة تخبر الزمكان كيف ينحني، والزمكان المنحني يخبر المادة كيف تتحرك»[7].

ومن إعجاز القرآن الكريم العلمي العظيم أنه يتحدث عن هندسة الفضاء الكوني المنحنية والمقوّسة بلفظة دقيقة فلكياً تعبر

(6) Quoted in Hugh Ross, the creator and the cosmos,2001.p104

(7) Menas Kafatos ,Ibid.p31

بدقة عن الانحناء وهي لفظة (العروج).

يقول تعالى ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج 3-4].

ويقول تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة 5].

ويقول تعالى ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[الحجر 14-15].

والقواميس والمعاجم تؤكد أن لفظة العروج هي الالتواء والانحناء، ودليل ساحق على ذلك من القرآن الكريم نفسه وهوأعظم المعجزات اللغوية وذلك عندما وصف الله تعالى الهلال المقوّس بكلمة العرجون وهي مشتقة من كلمة (عرج) في قوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[يس 39].

والعرجون القديم هوالغصن اليابس المقوّس المائل للاصفرار؛ فأي إعجاز وأي علم!

ويجب عدم الخلط بين هذه الآيات القرآنية التي تصف العروج والانحناء في الفضاء الكوني وما ورد في قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام 125].

إن سياق هذه الآية يشير إلى ما يحدث في الصعود في كوكب الأرض فقط، لأنه كما برهن العلم الحديث أن الصعود في الجو الأرضي نظراً لتناقص الأكسجين وانخفاض الضغط الجوي يسبب الضيق في الصدر وهذا يحدث فقط في نطاق الأرض، لأن الخروج من الغلاف الجوي هو الموت لانعدام الهواء؛ فالصعود في هذه الآية كلمة علمية دقيقة في سياقها لأن الجاذبية الأرضية ضعيفة جداً ولا تسبب السير في انحناءات، كما هو الحال في الفضاء الكوني الذي أثبتت النسبية العامة أن هندسته ملتفة ومقوسة.

وهذا من إعجاز القرآن العلمي الذي يستخدم أدق الألفاظ في السياق العلمي المناسب.

وإلى هنا نقف ونتساءل هل كان ألبرت أينشتين وهو أعظم العقول الفيزيائية ملحداً؟!

أبداً على الإطلاق؛ فقد كان من أعظم المؤمنين بالله تعالى وبالقوانين الذكية التي يسير عليها الكون .. يقول (د.ألبرت أينشتين): «إن ديانتي تحتوي على الإعجاب المتواضع بالروح الفائقة اللا محدودة التي تظهر نفسها في التفاصيل القليلة التي نستطيع أن نفهمها بعقولنا المحدودة.. هذه القناعة العاطفية العميقة بوجود قوة عقلية فائقة التي تكشف عن نفسها في هذا الكون الغامض تكوّن لي فكرة عن الله»[8].

(8)Cited in Gary Schwartz ,the god experiments,2006.p101

نعم! هكذا يتحدث عباقرة العلم.

أما الثورة الأكبر والأعمق في الفيزياء والتي حطمّت كل الأفكار الميكانيكية والمادية في تفسير الكون فهي ثورة اكتشاف فيزياء الذرّة التي تسمّى (الفيزياء الكمّية) (Quantum Physics)، وأود هنا أن ألفت انتباه القارئ العزيز أنه نظراً للصعوبات الرياضية لهذه الفيزياء والأفكار التجريدية العويصة التي تستند عليها؛ فإننا في هذه الدراسة المختصرة سندرس الأفكار العامة والأساسية لتطور هذه الفيزياء بدون الدخول في التقنيات الرياضية والتفاصيل المعقدة.

تبدأ قصة هذه الفيزياء الثورية عندما حاول الفيزيائي الألماني (ماكس بلانك) (1858م –1947م) أن يفسّر ظاهرة فيزيائية تسمى إشعاع الجسم الأسود وهي ظاهرة معروفة؛ فعندما يتم تسخين جسم ما يتحول لونه إلى الأحمر ثم الأحمر الفاتح ثم إلى الأصفر ثم الأزرق وأخيراً إلى اللون الأسود، وعندما أراد (بلانك) تفسير سبب هذه الإصدارات الحرارية والضوئية باعتبار أن الضوء ظاهرة موجية؛ أي إن الضوء يصدر بشكل موجات متصلة مستمرة، كان يحصل على حلول رياضية غير معقولة، ولكن عندما افترض أن هذه الإشعاعات تصدر على هيئة رزم متقطّعة من الطاقة أي حبيبات من الطاقة فسّر هذا الافتراض صدور هذه الإشعاعات تماماً، وقد أسمى هذه الحبيبات المتقطعة بالكمّات ومن هنا جاءت التسمية لهذه الفيزياء.

ثم أكد الفيزيائي (د. أينشتين) أن الضوء ينطلق بشكل حبيبات متقطّعة مثل الكرات أسماها بالفوتونات الضوئية، وبذلك ظهرت ثنائية غريبة في الفيزياء؛ فالضوء كما برهن الفيزيائي (ماكسويل) والفيزيائي (هويجنز) أنه ذوطبيعة موجية يسير بشكل مستمر، بينما اعتبر أينشتين الضوء حبيبات متقطعة (فوتونات)؛ فإذاً الضوء له ثنائية غريبة فهو موجات waves وجسيمات particles وكان شيء محيّر عند العلماء.

ثم عندما حاول العلماء فهم قوانين الذرة دخل المسرح الفيزيائي الدنماركي (نيلزبوهر) (1885م-1962م) وقدّم رؤية لقوانين الذرة غريبة عن القوانين الكلاسيكية؛ حيث افترض أن هناك مستويات محددة للطاقة تدور فيها الإلكترونات، وأن الأخيرة تقفز من مدار إلى آخر بشكل فجائي ثم تعود إلى مستواها الأساسي مطلقة فوتونات ضوئية، وحركة الإلكترونات في الذرة وقفزاتها لا يمكن تتّبع مساراتها في المكان والزمان على خلاف مسارات الكواكب في مداراتها حول الشمس، التي يمكن تتّبع مساراتها في الزمان والمكان، وكانت صفعة لفكرة الاستمرارية في الفيزياء النيوتونية.

ثم جاء الفيزيائي الفرنسي (د. لويس دي برولي) (1893م-1986م) ورأى أنه مادام الضوء له وجهان: الوجه الموجي والوجه الجسيمي ، فقد سحب بالتناظر هذه الفكرة على الجسيمات المادية،

وبرهن على أن الإلكترونات وكل الجسيمات الذريّة لها وجه جسيمي ووجه موجي كالضوء تماماً.

ثم جاء الفيزيائي النمساوي (د. أروين شروزنجر) (1882م-1961م) وضبط معادلة رياضية تصف سلوك هذه الموجات الذرية ولكنه لم يعرف ماذا تعني هذه الموجات فيزيائياً، إلى أن جاء الفيزيائي الألماني (ماكس بورن) وأوضح أن هذه الموجات تعد مقياساً لاحتمالية اكتشاف الإلكترون في موقع معين، وبلغة رياضية بسيطة برهن (بورن) أن مربّع سعة الموجة (دالة الموجة) تعطينا احتمالية لاكتشاف الإلكترون في موقع ما، ولا يمكن المعرفة الدقيقة أين سيُكتشف الإلكترون.

ثم جاء الفيزيائي الألماني (د. فيرنر هايزنبرغ) (1901م-1976م) واستطاع بعد توصيفات رياضية أن يبرهن على استحالة تحديد موقع حركة الجسيمات الذرية (الإلكترونات) في المكان والزمان، وأنه من المستحيل النمذجة الرياضية لحركة الجسيمات الذرية على الإطلاق، واكتشف (مبدأ عدم التحديد)Uuncertainty Principle، وبذلك انهار اليقين وتبخّرت الحتمية من الفيزياء وأصبحت الاحتمالات هي منطق الكون الداخلي.

يقول الفيزيائي والبيولوجي الأمريكي (د. جيرالد شرويدر): «مع مجيء ميكانيكا الكم وعدم التحديد (لهايزنبرغ) تبخّرت الحتمية

وعدم قدرتنا على الفهم الكامل للكون تم اكتشافه»[9].

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د. فريتجـوف كـابرا) والكيميـائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «كل قوانين الفيزياء الذرِّية يعبّر عنها بمصطلحات الاحتمالات، إننـا لا نستطيع أن نتّنبأ بحدث ذرّي بيقين؛ فنحن فقط نستطيع أن نتّنبأ باحتمالية حدوثه»[10].

وبـذلك برهنـت فيزيـاء الكـم علـى حريـة الإرادة، علـى عكس الفيزياء النيوتونية التي كانت تؤكد على الحتمية، يقول الفيزيائيان الأمريكيان (د. بروس روزنبليم) و(د. فريد كتنر): «إن فيزياء الكم تعتمد بشكل حاسم على الإرادة الحرة»[11].

وبذلك ماتت الميكانيكا المادية التي اعتمدت على الحتمية والسببية والاستمرارية، وحل محلها التقطّعية والاحتمالات وحرية الإرادة واللا سببية الفيزيائية وعدم القدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد أخبرنا عن هذه الفيزياء الأساسية للكون فيقول تعالى: **﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾**[الأنعام 59].

وقد أضاف الفيزيائي (نيلز بوهر) تفسيراً رائعاً للفيزياء الكميّة الذرية؛ حيث رأى أن الوجه الجسيمي والوجه الموجي، سواء

(9) Gerald Schroeder, the hidden face of god,2001.p101

(10) Fritjof Capra and Luigi Luisi ,the systems view of life,2014.p72

(11) Rosenblum and Kuttner,Ibid.p168

للجسـيمات الذريـة أوللضـوء، يعـدان صـفتين متكـاملتين وليسـتا متناقضتين، حيث كلاهما يعطي صورة مهمة عن الحقيقة.

يقـول الفيزيـائي الأمريكـي (فريتجـوف كـابرا): «لقـد قدّم بـوهر فكـرة التكامليـة، فـاعتبر صـورة الجسـيم وصـورة الموجـه وصـفين متتـامين للواقـع؛ فكل منـهما صـحيح وضـروري لتقـديم وصـفاً كـاملاً للواقع الذرّي»[12].

ومن هنـا أصبحت التكاملية هـي منطـق الكـون، وسـنرى لاحقـاً أن التعـاون والتكامـل همـا منطـق الحيـاة أيضـاً، وبـذلك انهـارت فكـرة المتنـاقضـات والصـراع الـتي اعتمـد عليهـا المـاديون والملحـدون في تفسيرهم لقوانين الكون والطبيعة.

وهنـاك في الفيزياء الكمّية أوالذريّة ما هوأعمق، وهوأنـه قد ثبـت بعدة تجارب أن الجسيمات الذرية لا يمكن تحديد موقعها إلا بعمليـة رصد واعية؛ بمعنى أن تحويل الجسـيم الـذري (إلكتـرون مثلا) مـن موجه احتماليـة إلى جسيم محـدد واقعـي يستلزم عمليـة تـدخل مـن راصد واعي وهذا برهان ساحق على وجود قوة وراء هـذا الكـون هـي التي حوّلت الاحتمالية لوجود هـذا الكـون إلى حقيقـةٍ واقعـة، وبـذلك أصـبح الـوعي هــو الحقيقــة الأولى في هــذا الكــون، ولنقــرأ هــذه

(12) Fritjof Capra, the Tao of physics,1991.p160

الاعترافات الرائعة من أكبر العلماء بهذه الحقيقة.

يقول الفيزيائي النمساوي (د. أروين شروزنجر) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء: «الوعي أصبح واضحاً بحيث يمكننا القول بأنه أصبح الأول، وغدا الكون محتوياً على عناصر الوعي»[13].

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د.سـابهاش كـاك): «إن الرؤيـة الحديثـة تـرى أن الـوعي هـو المـادة الأساسـية للحقيقـة، وعلـى هـذا الأساس هذا الوعي هو الذي خلق الفضاء والزمان والمادة»[14].

ويقول الفيزيائي والبيولوجي الأمريكي (د.جيرالـد شـرويد): «إن كل شـيء بـلا اسـتثناء يعد مظهـر لوحـدة أبديـة ووعـي كلّـي الوجـود ومتجاوز للمادة هو الذي نسّميه الله» [15].

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د.هـانزبتردور): «المـادة ليسـت مصنوعة من مادة بل هناك فقط الروح»[16].

ويقول الفيزيائيان الفلكيان (د.جون جريبن) و(د.مـارتن ريـس): «في ميكانيكا الكم لا يمكن أن يوجد الكـون بمعـنى الكلمـة مـالم يكـن شيء خارج الكون يقيس ويقلّص دالة الموجه»[17].

---

(13)Cited in Dean Radin,the conscious universe,1997.p264

(14)Subhash Kak , quantum physics of consciousness ,2012.p5

(15)Schroeder,Ibid.p14

(16)Cited in Kak,Ibid.p79

(17)John Gribbon and Martin Rees, cosmic coincidence,1988.p270

ويقـول الفيزيـائي الفلكـي البريطـاني (د.جـيمس جـينز): «إن الموضوعية للأشياء تظهر من وجودها في عقل لروح أزلية»[18].

ماذا بعد كل هذه الاعترافات من كبار العقول العلمية؟!

لقد أصبح وجود الله تعالى حقيقة علمية بامتياز، ولم يعد مجرد تأمّلات للفلاسفة أو المتصوفين.

يقول تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم 10].

ويقول تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[الزمر 5].

ويعترف العديد من الفيزيائيين أن حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى كخالق لهذا الكون كما برهنت عليه فيزياء الكم قد تم مقاومتها بشدة حفاظاً على أجندة الإلحاد المهترئة.

فمثلاً يقول الفيزيائيان الامريكيان (د. بروس روزنبليم) و(د.فريد كتنر): «إن الفيزيائيين غير مرتاحين للغاية من ميدانهم كونه تضمن شيئاً غير مادي»[19].

والنتائج الرائعة للفيزياء الكمّية لم تنته هنا، بل لقد برهن العلماء بعد سلسلة من التجارب المعقدة وخاصة الفيزيائي (آلين أسبيكت) وفريقه البحثي في باريس عام 1982م والفيزيائي (نيكولاس جيزن)

---

(18)Cited in Menas Kafatos,Ibid.p241

(19)Rosenblum and Kuttner,Ibid.p3

وفريقـه البحثـي في جامعـة جينيـف عـام 1997م أن الجسـيمات الذريـة أوالجسيمات الضوئية تظل مترابطـة فيمـا بينـها وبشكل لحظـي وفـوري وبـلا زمـن أو طاقـة منقولـة بينـهما حـتى لوكانـت منفصـلة عـن بعضـها بمسافة تقدر بملايين السنين الضوئية أومليارات السنين الضوئية، وهي نتيجة مذهلة برهنـت علـى أن الكون يعد لا محليـاً؛ بمعنـى أنـه متـرابط ومتشابك وذو نسيج شبكي بشكل جوهري.

يقـول الفيزيائيـان الأمريكيـان (د.بـروس روزنبيلـيم) و(د.فريـد كتنـر): «إن فقدان الانعزالية لأي جسيمين ذريين اوفوتونين ضـوئيين يرسخ فقدان الانعزالية بشكل عام؛ فكوننا له ترابطية شامله»[20].

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د.فريتجـوف كـابرا) والكيميـائي الحيوي الإيطالي (د.ليوجي ليوسي): «في نظريـة الكم نحـن نتعامـل مـع ترابطـات متداخلـة، وهـذا هـو تفسـير الفيزيـاء الجديـدة الـذي يكشـف وحـدة الكـون، إننـا لا نسـتطيع تفكيـك الكـون إلى وحـدات مستقله بل نجد شبكه معقدة من العلاقات بين أجزاء متعددة في كلّ واحد»[21].

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د.سيتي والد): «إننا مجبرون أن نواجـه الحقيقـة إن شـيئاً مـا خفـي لا يتحكم فقـط في الخـواص

(20)Rosinblum and Kuttner, Ibid.p3

(21)Capra and Luigui,Ibid.p72

الدقيقة للمادة بل بمصير الكون»[22].

إن اكتشـاف التـرابط والتـداخل والشـبكة الكونيـة المندمجـة واعترافات العلمـاء بوجـود قـوة توحّـد قـوانين هـذا الكـون بشـموليته هومـا نطـق بـه القـرآن الكـريم قبـل 1400 عـام؛ حيـث يقـول تعـالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[الملك 1].

وبـذلك جـاءت الفيزيـاء الحديثـة تعلـن عـن نهايـة الفكـر المـادي والإلحـادي مـن أساسـه، وأعـادت قطـار الإيمـان بـالله تعـالى الخـالق الأعظم والمدّبر والمهيمن على كل شيء.

يقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د.فريتجـوف كـابرا): «إن الفيزيـاء الحديثـة تقـود إلى رؤيـة عـن الكـون مشـابهة جـدا للـدين في كـل العصور»[23].

ونسـتطيع أن نلخـص البرنـامج الإرشـادي الـذي جـاء بـه فيزيـاء الكم الـذي قـوّض البرنـامج الإرشـادي الميكـانيكي النيوتـوني، والـذي أصـبح هوالنمـوذج الحـديث الـذي يسـير عليـه كـل المشـروع العلمـي الحديث كالآتي:

1- أولية الوعي والذكاء والخلق Priority of Consciousness
2- التقطعيـة Discontinuity: بمعنـى أن أحـداث الكـون تعتمـد علـى القفزات المفاجئة وليس الاستمرارية.

(22)Cited in Gary Schwartz,Ibid.p119

(23)Capra,The Tao of Physics ,Ibid.p19

3- الاحتمالية Probability: والتي فتحت المجال للثراء والتنوع لهذا الكون، ووجود الوعي والعقل الذي يخلق ويبدع القوانين والمعلومات، وبذلك انهارت الحتمية والسببية الفيزيائية.

4- التكاملية والترابطية Complementarity: بمعنى أن قوانين الكون تعتمد على التكامل وليس الصراع بين المتناقضات.

5- اللا محلية Non-Locality: بمعنى أن قوانين الكون متداخلة وذات نموذج شبكي وليست قوانين مفككة ومنفصلة.

ومن خلال دراستنا التالية سنرى أن هذا النموذج الجديد للعلم لم يدخل فقط في الفيزياء، بل في علوم الكون وعلوم الأرض وعلوم الحياة وعلم النفس والطب والعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، أما علم الرياضيات فقد تناغم مع باقي العلوم وخاصة مع علم الفيزياء في نقطة جوهرية وهي انهيار اليقين والحتمية وبيان المحدودية لعلم الرياضيات في قوته على التفسير الكامل لقوانين الكون والصفحات التالية ستوضح ذلك.

إن إقامة الجسور بين مختلف العلوم من أجل الرؤية الكاملة هي أحد أهداف هذه الدراسة المختصرة؛ لأنها الطريق إلى إدراك عظمة الكون والحياة والإنسان، وبالتالي المعرفة الأعمق لعظمة الله تعالى الواحد الأحد خالق هذه اللوحة الكونية المتناغمة.

ثالثاً: الرياضيات

Mathematics

الرياضيات تُسمّى لغة العلوم الدقيقة، وعندما تم ترجمة قوانين الكون إلى أعداد وعلاقات رياضية اكتشف العلماء الكثير من أسرار هذا الوجود، والتعريف الذي اتفق عليه الرياضيون لعلم الرياضيات هوأنه علم النماذج Models؛ فما يفعله الرياضيون هوفحص النماذج المجرّدة مثل النماذج العددية ونماذج الشكل ونماذج الحركة ودراسة الفضاء الفيزيائي.. وغير ذلك.

ولا شك أن القدرة الرمزية المتميّزة عند الإنسان هي التي جعلت التدوين التجريدي والتعبيرات الجبرية والمخططات الهندسية والصيغ المعقدة طرق سهلة لفهم النماذج التي يسير عليها الكون.

ولكن كيف أبدع الإنسان الرياضيات ؟ ومن أين جاءت له هذه الملكة أصلاً ؟.. الرأي السائد والمنتشر بين الأوساط العلمية أن المقدرة الرياضية لا تتعلق بهبة سماوية؛ أي من الخالق الأعظم الذي خلق الإنسان بهذه المهارة، بل إن المقدرة الرياضية تنمونتيجة التعليم والتفاعل مع متطلبات البيئة، وهذا الرأي مستند على نظرية دارون الكسيحة التي تنكر تماماً بأن الإنسان مخلوق على وجه خاص، وتنكر كلّية بأنه مزود بقدرات فطرية أولية تجعل منه كياناً فعّالاً له تقنيانه المصمّمة الخاصة لاستنطاق أسرار الكون، ولكن هذا الرأي الداروينى ثبت انهياره وبرهنت الدراسات العلمية والتجريبية على أولية الغريزة الرياضية عند الإنسان؛ ففي عام 1992م أعلنت عالمة النفس الأمريكية (د. كارين واين) خبراً

مـذهلاً، وهـو أنهـا برهنـت تجريبيـاً بـأن الأطفـال في عمـر 4 شـهور يمكنهم أن يقوموا بعمليات رياضية بسيطة مثل الجمع والطـرح، بل إن علمـاء آخـرين أوضـحوا أن الأطفـال يمكنـهم أن يقومـوا بـنفس الحسابات عندما تكون أعمارهم يومين فقط[1].

يقـول أسـتاذ الرياضـيات ونظريـة المعلومـات الأمريكـي (د. كيـث ديفلن): «إننا نولد بقدرات رياضية طبيعية»[2].

ويؤكد هذه الحقيقة أحد أكبر علمـاء اللغويات وعلـوم الأعصـاب الدماغية الأمريكي (د. ناعوم تشومسكي) حيـث يقـول: «فيمـا يتعلـق بقدرتنا على التعامل مع جهاز الأعداد فهي غريزية للذهن البشري، ولا نظير لها في الأنواع الحيوانية»[3].

وهـذه الحقيقـة العلميـة تصـفع النمـوذج الـدارويني في الصـميم، وتؤكد على نظرية الخلق والتصميم الذكي.

والآن سـندرس بعضـاً مـن أهـم الثـورات العلميـة الـتي حـدثت في الرياضـيات الـتي قوّضـت الفكـر الرياضـي الـذي اعتمـد علـى الـيقين الكامل والحتمية وبرهنت علـى أن علـم الرياضيات يتميّز باللاّيقين والمحدودية الهائلة في قدرته على التفسير.

---

(1) Keith Devlin, the math instinct,2005.p1

(2) Devlin,Ibid.p14

(3) Cited in John Oller and John Omdhal, the creation hypothesis,1994.p256

من المعروف أن الحضارات القديمة كانت لها إنجازات رياضية مهمّة؛ فمثلاً برع المصريون في ابتكار طرق هندسية متقدمة تبرهن عليها النصب التذكارية والحسابات المعقدة وتخطيط المدن وتحديد المساحات للحقول في تنظيم الزراعة والري، أما البابليون فقد عرفوا معادلات رياضية متقدّمة وتمكنّوا من التعامل مع المتسلسلات العددية والحسابية والهندسية، ولكن كان الطابع لهذه الحضارات هو الجانب العملي والتطبيقي، لكن بمجيء الحضارة اليونانية أصبحت دراسة الرياضيات تتميز بكونها دراسة نظرية وفلسفية، وأصبحت الكينونات الرياضية لها وجود مستقل عن التطبيقات العملية.

وسنتوقف عند اثنين من أهم الرياضيين اليونانيين الذين كان لهم تأثير على علم الرياضيات في القرون التي تلت وهما:

(فيثاغورث) (580ق.م-500ق.م)، والذي حّول الرياضيات مع جماعته إلى علم يدرس ما وراء الطبيعة؛ فقد أعتبر فيثاغورث وجماعته الأعداد إشارات إلى ما وراء الظواهر، ومن هذه القناعة الصوفية رسّخ فيثاغورث شيئاً مهماً جداً وهوأهمية الرياضيات في نمذجة قوانين الكون، وبدأت القناعة تترسّخ عن القوة المطلقة للرياضيات في التحسيب واستكشاف القوانين الكونية.

الثاني كان هو (إقليدس) (330ق.م-260ق.م) الذي ألّف كتابه (الأصول)، وهودراسة في علم الهندسة استمر كأساس للدراسات

الهندسية حتى القرن التاسع عشر، ولقد شيّد (إقليدس) صرحه الهندسي الشامخ اعتماداً على السطح الصلب والخطوط المستقيمة وهي الهندسة التي اعتمد عليها الفيزيائي (إسحاق نيوتن) في صرحه الفيزيائي الكلاسيكي، ونظراً لأن قوانين نيوتن ثبت نجاحها وقوتها في التفسير؛ فقد انسحبت فكرة النجاح والقوة في التفسير على هندسة إقليدس التي أصبحت هي الهندسة الوحيدة والمطلقة ذات اليقين الكامل، وترسّخت الحتمية في الرياضيات كما في الفيزياء تماماً.

يقول الرياضي والفلكي البريطاني (د. جون بارو): «قدّمت هندسة إقليدس نظاماً من الفكر كان حقيقة مطلقة؛ لأنها استخدمت استدلالاً منطقياً لا خلل فيه من مقدمات تعد قضايا تشرح عمل قوانين الكون، وقد صمدت أمام كل المحاولات لنبذها»[4].

بالتالي فقد نشأ اليقين والحتمية في علم الرياضيات، والاعتقاد بالقدرة الخارقة للرياضيات على النمذجة والتوصيف لكل قوانين الكون.

إلاّ أن المسامير دُقّت في نعش هندسة إقليدس، وذلك عندما اكتشف الرياضي الروسي (نيكولاي لوبا تشفيسكي) (1793م-

(4)John Barrow, pi in the sky,1992.p11

1856م) هندسة جديدة متسقة منطقياً وهي هندسة السطح المقعّر (أي السطح الشبيه بسرج الحصان)، ثم جاء الرياضي الألماني (برنهارد ريمان) (1826م-1866م) واكتشف هندسة السطح الكروي، وتعد ذات بناء متسق ومنطقي لا خلل فيه أيضاً، وبهذين الاكتشافين انهارت فكرة حتمية الهندسة الإقليدية وتم تقويض فكرة أن الرياضيات بناء عقلي حتمي ذو يقين مطلق.

يقول الرياضي والفلكي البريطاني (د.جون بارو): «إن اكتشاف إن الهندسة الإقليدية ليست فريدة ولا حتمية وليست حقيقة مطلقة عن الكون كان صاعقاً وتأثيره كان هائلاً؛ فقد هدمت الرؤية المطلقة عن المعرفة البشرية»[5].

ومن المذهل أن هندسة ريمان الكروية هي التي استخدمها د.أينشتين في صياغة نظريته النسبية العامة التي برهنت على أن الجاذبية تعد انحناءً للزمكان الكوني.

أما الثورة الثانية التي حدثت في الرياضيات والتي أوضحت محدودية هذا العلم فقد كانت انهيار البرنامج الصوري الذي رسّخه الرياضي والفيلسوف الألماني (د. ديفيد هيلبرت) (1862م-1943م) والذي حاول في برنامجه الصوري أن يؤكد بأن الرياضيات

(5) Barrow, Ibid. p11

تعد شبكة أنيقة من الترابطات المنطقية لا غير؛ فلقد كان (هيلبرت) يبحـث عـن الـيقين المعـرفي الكامـل؛ لـذلك فقـد بحـث أن يطـوّق الرياضـيات ضـمن شـبكة مـن الاسـتدلالات المنطقيـة الناتجـة مـن بديهيات متسقة؛ بمعنى أنه أراد تحديد الرياضيات لتكون خالية من المشكلات المنطقية.

وبذلك اعتبر (د. هيلبرت) أن القضـايا الرياضـية صـورية فقـط ولا يحتاج لأن تكون لها علاقة خاصة مع الواقع الفيزيائي، باختصار أراد هيلبرت أن يعتبر الرياضيات مجرد رموز يتم معالجتها معالجة رياضية طبقاً لقواعد منطقية معينـة دون استحضـار معنـى فيزيـائي واقعي لهذه الرموز.

يقول الرياضي والفلكي البريطاني (د. جون بـارو): «في المنهجيـة الصورية لهيلبرت لا يلزم أن تمتلك الرياضيات إلاّ الاتسـاقية فقـط لكن بلا معنى»[6].

وبهذا التكتيك الفكري اعتقد هيلبرت بأن الرياضيات ستمتلك اليقين المعرفي الكامل والقدرة على حل كل المشكلات المنطقية.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها د. ديفيد هيلبرت للبحـث عن اليقين الرياضي الكامل في مشروعه الصـوري؛ إلا أن فكرتـه قـد

(6)Barrow,Ibid.p114

انهارت برمتها على يد عالم الرياضيات وأستاذ المنطق الأسترالي (د.كارت جودل)، ففي عام 1931م رسّخ جودل نظريتين عن الرياضيات سحقت أفكار هيلبرت الصورية إلى الأبد وهي:

1- رسّخ جودل أن أي نظام منطقي يعد غير كامل؛ فسيظل هناك قضايا لا يمكن إثبات صحتها أوخطأها.

2- أوضح جودل أنه لا يمكن البرهنة على أن النظام الرياضي متسق ذاتياً من الناحية المنطقية، والدليل على نظرية جودل هواكتشاف الهندسات اللا إقليدية التي اكتشفها كلٌّ من لوباتشفيسكي وريمان.

ولقد تم تسمية نظرية جودل في الرياضيات (اللااكتمالية) (Incompleteness) وجوهر هذا الاكتشاف هوانهيار اليقين والحتمية في الرياضيات.

يقول أستاذ الفيزياء الحيوية الأمريكي (د. هوبرت يوكي): «إن الرياضيات تعد أقدر الوسائل للاستدلال البشري؛ لذلك كانت مفاجأة أن هناك أشياء يستحيل معرفتها وغير قابلة للمعرفة، ولا يمكن الحسم فيها حتى في الرياضيات»[7].

(7) Hubert Yockey,information theory ,evolution and the origin of life,2005.p172

لقد برهن (جودل) على أن الرياضيات جهاز مفتوح، ولا يمكن أن يكون هناك نظام نهائي للرياضيات.

ويعلّق أستاذ الرياضيات الأمريكي (د. روي ركر) عن نظرية اللا اكتمالية لجودل بقوله: «التضمينات لهذا الاكتشاف يعد مدمّراً، فالماديون والملحدون اعتبروا أن الكون ماكينة مبرمجة مسّبقاً بشكل هائل، لكن تخبرنا نظرية جودل أن الإنسان لن يعرف السر النهائي للكون»[8].

ويقول الرياضي والفلكي البريطاني (د. جون بارو): «بعد إثبات جودل اندهش الرياضيون بأن الحقائق يمكن أن تقبع وراء الاستدلال المنطقي، ومنذ ذلك الحين تمت الإشارة بشكل متكرر إلى أن هناك حاجزاً أساسياً لفهم الكون»[9].

وهكذا اندمجت الرياضيات مع علم الفيزياء في عدم قدرة العقل البشري على فهم كل المنظومة الكونية، فقد وجدنا في الفيزياء (مبدأ عدم التحديد) للفيزيائي (فيرنر هايزنبرغ)، وهنا في الرياضيات وجدنا نظرية اللا اكتمالية لكارت جودل، وكلتا النظريتين تؤكدان على محدودية العقل البشري، وأن الحقيقة الكاملة ستظل وراء متناول الفهم والعقل الإنساني.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا عن هذه المحدودية للعقل

(8)Cited in Gary Schwartz, the god experiments , 2006.p219

(9)Barrow,Ibid.p19

البشري في المعرفة فيقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الإسراء 85].

وهكذا برهن العلم الحديث على أهمية الوحي الإلهي الذي يُنير الطريق أمام الألغاز الكثيرة التي تحيط بالإنسان تجاه الكون وأسراره.

يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. ميناس كافاتوس): «لقد حان الوقت للدين أن يكّمّل حقائق العلم ويملأ فراغ المعنى»(10).

وصدق الله تعالى في قوله العظيم ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾[المائدة 15] وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[النساء 174].

لقد أكّد العلم الحديث حاجة الإنسان إلى الوحي الإلهي وبقوة، ونحن نقول بأن القرآن الكريم هوالوحي الذي يحتاجه العقل العلمي الحديث بلا جدال؛ لاحتوائه على كل الحقائق العلمية عن الكون والحياة والإنسان والتصورات المنطقية عن ذات الله تعالى والشريعة التي برهن العلم الحديث أنها هي الشريعة التي يدين بها الكون بأسره، ناهيك عن الجمال اللغوي والبلاغي الذي كان الإطار المُغلّف لكلمة الله تعالى الأخيرة للبشرية وهي (القرآن الكريم)، وبذلك جاء الإسلام ومعجزته الخالدة (القرآن الكريم) ليعلن عن الوحدة الجوهرية بين العلم والدين والفن، وهي الأُطر التي انجدل بها كل التاريخ المعرفي الإنساني.

(10)MenasKafatos and Robert nadeau ,the conscious universe,2000.p161

رابعاً : علم الكون

Cosmology

المشاهدات الفلكية من أهم وأقدم المعارف التي عرفها الإنسان، ولأننا في هذه الدراسة الموجزة قد درجنا على البدء بعصر النهضة الأوروبية؛ فإننا سنبدأ دراستنا من الفلكي البولندي (نيكولاس كوبرنيكوس) (1473م -1543م) الذي يعد من أكبر العلماء الذين مثّلوا روح التساؤل الحديث التي ظهرت في أوروبا في القرن السادس عشر، وكان من أهم إنجازاته الفلكية أنه رسّخ الفكرة القديمة بأن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض، لكن نموذج مركزية الشمس للنظام الشمسي كان فكرة تعارضها الكنيسة بقوة، يقول الفيزيائي البريطاني (د. سيمون سنف): «لقد تم وصف كوبرنيكوس بأنه أحمق لأنه ناقض الكتاب المقدس (التوراة والأناجيل)»[1].

أما الفلكي الدنماركي (تيخوبراهه) (1546م-1601م) فقد لاحظ شعاعاً برّاقاً أثبت أنه نجم جديد، وبرهن بذلك أن قوانين السماء متغيّرة وليست سرمدية كما اعتقد بعض فلاسفة اليونان، وفي عام 1601م تم إحراق (برونو) لأنه تحدّى الكنيسة عندما قال إن الكون لا نهائي ويحتوي على إمكانية لعوالم أخرى، وهكذا نرى سر الخصومة بين العلم والدين في العالم الغربي، إنها هذه الذكريات المؤلمة.

---

(1) Simon Singh, Big Bang, 2004.p67.

ثم جـاء الفلكـي الألمـاني يوهـانس كبلـر (1570م-1630م) الـذي كانـت أهـم إنجازاتـه اكتشـاف القـوانين الثلاثـة المشـهورة لحركـة الكواكب حول الشـمس والـتي أثبـت فيهـا أن المـدارات الكوكبيـة حـول الشمس هي مدارات بيضاوية وليست دائرية، وقد رفض كبلـر فكـرة الكون اللامتناهي وفسّر محدودية الكون بسبب ضآلة عدد النجوم.

ثم جـاء القـرن العشـرين بثـورات علميـة رائعـة برهنـت علـى أن الكـون مخلـوق ولـيس سـرمدياً، وأن قـوانين الكـون مصـممّة منـذ بـدء الخلق إلى أن ظهر الإنسان في كوكب الأرض بدقة رياضية لا تفسـير لها إلا بوجود الخالق والمصمم الأعظم هوالله تعالى، فهيا لنـدرس باختصار هذه الثورات الكونية الإيمانية.

أولاً: **اكتشاف التوسّع الكوني**: بعد أن نشر الفيزيائي (د. ألبرت أينشتين) نظريتـه النسـبية العامـة عـن الجاذبيـة الكونيـة قـدم بحثـه الشـهير عـن علـم الكونيـات عـام 1917م؛ حيـث طبّـق معادلاتـه الرياضـية علـى الكـون كلـه، لقـد كـان أينشـتين محبطـاً مـن نبـوءة نظريتـه عـن كيـف يسـير الكـون؛ فقـد وجـد أن نظريتـه تضـمنت أن الكون سيكون غير مستقر حيث إن صياغته للجاذبية أوضحت أن كل جسم في الكون سيكون منجذباً للآخر على الصعيد الكوني، وهـذا سـوف يـؤدي إلى أن كـل جسـم يتحـرك باتجـاه الجسـم الآخـر، وبالتـدريج قـوة الجاذبيـة ستؤدي إلى انسحاق وهـذا يعـني أن الكـون

لا بد أن يكون غير موجود، وحتى يتجنب أينشتين إمكانية انهيار الكون بالتجاذب أدخل ما يسمى بالثابت الكوني الذي يضمن بقاء الكون ساكناً، ولم يكن معروفاً في بداية القرن العشرين أن الكون يتوسع، ونظراً لأن فكرة الكون الساكن غير المخلوق كانت عزيزة عند العلماء، وحتى يتجنبوا فكرة الخلق فقد لجأ العديد منهم إلى هذه الحيل الرياضية.

يقول الفيزيائي البريطاني (د. سيمون سنف): «كانت الفكرة الراسخة في بداية القرن العشرين أن الكون ساكن وأبدي»[2].

إلا أن عالم الرياضيات الروسي (إلكسندر فريدمان) الذي كان ماهراً في الرياضيات قرأ ورقة أينشتين في علم الكونيات ووجد أن النموذج السكوني للكون ليس هوالحل الصحيح، واستطاع أن يبرهن رياضياً أن معادلات أينشتين تسمح بكون يتوسّع ويتقلّص، ولأول مرة تم طرد فكرة الكون الساكن، ثم في عام 1925م قام الفيزيائي الفلكي الهولندي (جورج لاميتر) بإجراء حسابات رياضية مرتكزة على معادلات أينشتين واكتشف أن الكون يتوسّع؛ إلا أن أغلب علماء الكون رفضوا فكرة (لاميتر) عن الكون المتوسع لتضميناتها الدينية بأن الكون قد يكون له بداية وقد تم تجاهل أفكار (لاميتر) تماماً.

يقول الفيزيائي البريطاني (د. سيمون سنف): «إن فكرة الكون

(2) Singh, Ibid.p147.

الساكن كانت متسقة مع الإيمان السائد بكون أبدي، فلذلك أي حجة ضد هذا الإيمان تم تجاهلها»[3].

إلا أنه في عام 1929م أعلن الفلكي الأمريكي (د. أدوين هابل) الصاعقة وهي اكتشاف أن الكون يتوسع فعلاً، وكان هذا الاكتشاف عن طريق ملاحظاته الرصدية للطيف الضوئي للمجرات الذي ينزاح نحوالأحمر؛ أي الطول الموجي الأطول، واكتشف أن المجرات تتباعد عن بعضها وأن الكون يتوسع بالفعل[*].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه ينطق بهذه الحقيقة العلمية عن الكون المتوسّع التي لم تُكتشف إلا في القرن العشرين حيث يقول تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات 47].

وكان هذا التوسّع الكوني أول صخرة تتحطم عليها أفكار الماديين والملحدين؛ لأن معنى الكون المتوسّع أن الكون في الماضي كان منضغطاً وله بداية زمنية.

ثانياً: اكتشاف الخلفية الإشعاعية الكونية: ثم جاء دعم آخر ممتاز لنظرية خلق الكون والانفجار العظيم عن طريق الحسابات

(3) Singh, Ibid.p161

(*) هذه ظاهرة فيزيائية تعرف بظاهرة (دبلر) وهي تنص على أن الأجسام المتحركة بشكل متباعد ينزاح لون طيفها الضوئي نحوالأحمر أي الموجة الأطول، أما الأجسام التي تقترب فطيف ضوئها ينزاح نحواللون الأزرق أي الموجة الأقصر.

الفيزيائية الرياضية التي قام بها الفيزيائي الفلكي الروسي (جورج جاموف) والذي خمّن بوجود أشعة كونية أحفورية في الفضاء لاتزال باقية منذ لحظة الانفجار العظيم للكون كانت السبب في منع اتحاد الذرات الثقيلة، ولذلك رأى أن الكون كان مغموراً بنشاط إشعاعي كثيف هوالذي منع تشكيل الذرات الأثقل من الهيدروجين والهليوم؛ مما جعل الكون لا يزال مكوّناً في معظمه من الهيدروجين والهيليوم وأثبتت حسابات (جاموف) أن هذا الإشعاع لم يكن قادراً على الحركة، وعندما هبطت الحرارة استطاعت نوى الذرات (البروتونات والنيترونات) الالتحام بالإلكترونات، وأصبح هذا الإشعاع يتحرك بحرية في الفضاء؛ إذاً لا بد أن هذا الإشعاع موجود الآن في الكون لكن نظراً للتوسع الكوني أصبح خفيفاً فأين هو؟

وكانت المفاجأة الرائعة أنه في عام 1965م قام اثنان من الفلكيين الراديويين الأمريكيين (د. إرنوبنزياس) و(د. روبرت ويلسون) بسلسلة من القياسات بالتلسكوب الراديوي، ووجدوا ضجيجاً راديوياً بدا أنه مستقل عن الاتجاه الذي يأتي منه، واستنتجوا أن هذا الإشعاع كان متجانساً في كل الاتجاهات وأن له أصل كوني، وبعد عدة دراسات تأكد هذان العالمان أن هذا الضجيج الإشعاعي يعد من صنف الميكرويف (micro wave)، وقد تم تسميته بالخلفية الإشعاعية الكونية، وأنه بالضبط الإشعاع الذي تنبأ به الفيزيائي

الفلكي (جاموف) والذي يعد تأكيداً تجريبياً جديداً على نظرية الانفجار العظيم، وفي عام 1992م سجّل فريق من علماء الفيزياء الفلكية الخلفية الإشعاعية الكونية عن طريق القمر الصناعي (COBE) وتم التأكد من حادثة خلق الكون والانفجار العظيم وكان خبراً مذهلاً، ولقد قال الفيزيائي الفلكي البريطاني (د.ستيفن هوكنغ): «إنه اكتشاف القرن وكل العصور»[5].

ويقول الفلكي الأمريكي (د. جورج سموت) مؤسس مشروع القمر الصناعي (COBE): «لقد وجدنا الدليل على ميلاد الكون كما لوأننا ننظر إلى الله»[6].

ويقول الفيزيائي والفيلسوف العلمي (د. فريدرك برنهام): «مجتمع العلماء كان مستعداً لدراسة الفكرة أن الله خلق الكون، وتعد هذه الفرضية محترمة اليوم أكثر من أي وقت مضى»[7].

ويقول الفيزيائي البريطاني (د. سيمون سنف): «إن هذا الضجيج الإشعاعي كان دليلاً على خلق الكون»[8].

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. جوزيف سيلك): «نظرية

---

(5)Cited in Hugh Ross, The Creator and the Cosmos,2001p31.

(6)Cited in Ross, Ibid.p31

(7)Cited in Ross, Ibid.p3

(8)Singh, Ibid.p431

الانفجار العظيم أصبحت التفسير العلمي المقبول الوحيد علمياً عن أصل كوننا، إن تدفق البيانات قد أخذنا إلى أقرب لحظة تصف بداية الزمن»(9).

إذاً أصبحت نظرية خلق الكون حقيقة علمية راسخة، وهناك دلائل علمية عديدة على نظرية الانفجار العظيم لا يتسع المجال لسردها، ولكن هذه النظرية قد هدمت الفكر الإلحادي الذي كان ينادي بسرمدية وأبدية الكون.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد نطق بهذه النظرية وهي (خلق الكون) قبل 1400عام.

يقول تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء 30].

تذكر الآية الكريمة أن الكون كان منضغطاً ثم انفجر (الرتق والفتق)، وهناك خطأ شائع حتى عند بعض العلماء بأن مصطلح الانفجار ليس دقيقاً لأن الانفجارات تولّد الفوضى وهذا لا يتناغم مع التصميم والدقة في خلق الكون، وعن هذه القضية يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس): «الانفجار العظيم ليس انفجاراً كما قد يتصوره معظم الناس مثل انفجار قنبلة أوديناميت؛ فهذا الانفجار سوف يمنح فوضى وخراب؛ إلا أنه في الواقع هذا

(9)Joseph Silk, Big Bang, 2001.pxiii.

الانفجار يُمثل إطلاق مخطط مسيطر عليه للمادة والطاقة والمكان والزمان مع تقييدات صارمة لثوابت فيزيائية مصمّمة بعناية وقوانين تحكم السلوكيات والتفاعلات»[10].

ولقد أثبتت الدراسات العلمية بأنه قد تم خلق الكون من لا شيء؛ فيقول الفيزيائي الفلكي البريطاني (د. بول ديفيس): «علماء الكون يرون بأن الكون قد خُلق من لا شيء»[11].

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. أرنوبنزياس) الحائز على جائزة نوبل لاكتشافه الخلفية الإشعاعية الكونية: «علم الفلك يقودنا إلى حدث فريد وهوكون تم خلقه من لا شيء بتوازن دقيق ضروري لتقديم الشروط الدقيقة المطلوبة لتسمح بالحياة والتي لها أساس من خطة خارقة للطبيعة»[12].

إذاً تم خلق الكون بما يحتويه من مادة وطاقة ومكان وزمان من لا شيء؛ فمن خلق هذا الكون ؟! لندع العلماء يجيبون.. يقول أستاذ علم الكون الأمريكي (د.ادوارد هاريسون): «هنا برهان كوني على وجود الله، إن التصميم للكون يقدم دليل على التصميم الإلهي»[13].

---

(10)Ross, Ibid.p27-28

(11)Paul Davies, Cosmic Jackpot, 2007.p65.

(12)Cited in Ross, Ibid.2001.p159.

(13)Cited in Ross, Ibid.p160.

ويقـول الفيزيـائي الفلكـي الأمريكـي (د. هـوف روس): «الخـالق يملأ كل خلقة، ووجـوده يتخلل كل الكون؛ إلا أن الكون لا يمكن أن يحتويه، وكون الخالق متجاوزاً؛ يعني أنه يوجد في استقلالية كاملة عن المادة والطاقة والقوانين وثوابت الفيزياء وأبعاد الزمكان للكون، وحرية الخالق للعمل والخلق لا تعرف حدود»(14).

ويقول الفلكي الأمريكي (د.آلان سانديج) الفائز بجائزة (جرافورد) في علم الفلك وهي تكافئ جائزة نوبل: «إنني أجد من غير المحتمل أن مثل هذا النظام جاء من الفوضى، لا بد أن هناك مبدأ مُنظّم، إن اللّه بالنسبة لي يعد لغزاً، لكنه التفسير لمعجزة الوجود»(15).

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د. كـي فيلـبيرث): «الكـون مخلـوق بمعنى الكلمة، وتم إنتاجه عن إرادة حرة لخالق الـذي هونفسـه لـيس موضوعاً للمكان ولا للزمان ولا للمادة.. والمادة مخلوقة لأن اللّه أراد أن يخلقها»(16).

وهناك اعترافات لا حصر لها من العلماء المعاصرين بالحقيقة العلميـة الدامغـة وهـي أن هنـاك خـالق وراء هـذا الكـون وهـواللّه

(14)Hugh Ross, Creation AS Science. 2006.p81

(15)Cited in Ross, The Creator and the Cosmos, 2001.p160.

(16)Quoted in William Lane Graig, Design and Cosmological Argument, Mere Creation, 1998.p334-335.

سبحانه وتعالى، وقد نطق القرآن الكريم بحقيقة أن الله تعالى هوالخالق والمدّبر لهذا الكون حيث يقول تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الروم 22].

ويقول تعالى ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الجاثية 22].

ويقول تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة 117].

ويقول تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الحجر 85].

ولقد برهنت الدراسات العلمية أيضاً أن الكون قد تم خلقه بدقة رياضية متناهية؛ بحيث أنه منذ لحظة الانفجار العظيم تم ضبط كل القوانين والثوابت الفيزيائية وتوسّع الكون وأبعاد الزمكان بمعادلات رياضية غاية في التصميم، وللأسف الشديد لن نستطيع أن ندرس ذلك بالتفصيل في هذه الدراسة المختصرة، لكن يكفي أن نذكر بعض الاعترافات من كبار العلماء عن التصميم الرياضي للكون.

يقول الفيزيائي الفلكي البريطاني (د. بول ديفيس): «يبدوأن الكون كما لوكان مصمّماً من خالق ذكي يعمل لغرض ظهور كائنات حية، وحتى الآن هذا العامل المُصمّم قد تم تجاهله بالكامل من العلماء»(17).

وهذا اعتراف ساحق بتجاهل العلماء لفكرة الخلق والتصميم

(17)Davies, Ibid.p3

الذكي للكون لواحد من أكبر علماء الكون حالياً.

ويقول الفيزيائي الروسي (د.الكسندر بولكيف): «نحن نعرف أن الطبيعة توصف بأفضل الرياضيات الممكنة لأن الله خلقها»[18].

ويقول الفيزيائي الفلكي البريطاني (د.جيمس جينز): «يبدوأن الكون قد تم تصميمه بعقل رياضي بحت»[19].

ويقول الفلكي والرياضي البريطاني (د. جون بارو): «إن أساس نجاح العلم يكمن في وجود إيمان ديني عميق بعالم مثالي متجاوز عن المكان والزمان ويسيطر علينا بطريقة غير مُفسّرة»[20].

ويقول الفيزيائي والبيولوجي الأمريكي (د. جيرالد شرويدر): «إن الحكمة والمعلوماتية هي الرابط بين الخالق الميتافيزيقي والخلق الفيزيائي؛ إنه الوجه المختبئ لله»[21].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا بأن الله تعالى قد خلق الكون وفق موازين رياضية دقيقة ظهرت في التصميم الخارق للكون والطبيعة.

---

(18)Quoted in Walter Bradley, Mere Creation, 1998.p38

(19)Davies, Ibid.p8

(20)John Barrow,Pi in the Sky,1992.p1.

(21)Gerald Schrowder,The Hidden Face of God,2001.p49.

يقول تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان 2].

ويقول تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر 49].

ويقول تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد 8].

ويقول تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[الرحمن 7].

إذاً ماذا بقي للإلحاد؟.. لا شيء إلا الكبر والعناد والجهل، وهنا نلحظ أن علم الكون قد تناغم مع علم الفيزياء وعلم الرياضيات؛ حيث بدأت هذه العلوم بالمادية والميكانيكية والحتمية والسببية الفيزيائية ورفض أولية الوعي والانعزالية، وانتهت بأولية الوعي والخلق والإبداع والتصميم الذكي والثراء المعلوماتي الهائل للكون الذي سيظل عقل الإنسان عاجزاً عن فهم كل أسراره، والتداخل والترابط بين علوم الفيزياء والكون والرياضيات يتضح وبقوة في التصميم الرياضي الدقيق للقوانين الكونية، وهكذا تتجلى الوحدة والنسيج الشبكي بين علوم الفيزياء والرياضيات وعلوم الكون على أوضح ما يكون.

خامساً : علم الأرض (الجيولوجيا)

Geology

علم الجيولوجيا (Geology) يتكلم عن أصل وتركيب وتاريخ الكرة الأرضية والكائنات الحية التي عاشت عليها وتركت سجلاً في صخورها، وفي القرن التاسع عشر كان هذا العلم ضمن السياق العلمي العام الذي ينكر الغائية والتصميم؛ حيث كانت النظرة إلى كوكب الأرض بأنه مسرح عبثي من الصخور وبخار الماء بقوانين فاقدة للتصميم من الناحية الكيميائية والميكانيكية، وأن كوكب الأرض قد تكوّن مصادفة بلا نظام يحكم مكوناته.

إلاّ أن رؤية الأرض بأنه كوكب عبثي بلا تصميم بدأت تتغير عندما استطاع البيولوجي الروسي (فلاديمير فيرنادسكي) عام 1926م أن يؤكد أن هناك علاقة حاسمة بين تطور الحياة والبيئة؛ فقد رأى (فيرنادسكي) أن الغلاف الحيوي للأرض يشمل الحياة والبيئة وسطح الأرض والمحيطات والغلاف الجوي، وأن قوة الحياة المترابطة هي التي شكّلت الثورة الجيولوجية التي كوّنت سطح كوكب الأرض.

ثم جاءت الثورة الأكبر في علم الأرض على يد أستاذ الجيوفيزياء (فيزياء الأرض) البريطاني (د. جيمس لفلوك) الذي قادته استبصاراته ودراساته الرائعة إلى نموذج مدهش وجميل عن كوكب الأرض بأنه كوكب منّظم ذاتياً إلى درجه أنه يمكن اعتباره كائناً حيّاً يقول الجيوفيزيائي البريطاني (د. جيمس لفلوك): «إن كوكب الأرض ذوخاصية غريبة؛ بحيث يحفظ نفسه دائماً كمكان

مريح وملائم للكائنات الحية، وهذه الخاصية ليست مصادفة لكنها نتيجة للحياة على سطح الأرض»[1].

ويقول أيضاً (د. جيمس لفلوك): «إننا نجد أنفسنا وكل الكائنات شركاء في كائن هائل والذي في تكامليته له القدرة على صيانة كوكبنا الأرضي كمسكن ملائم ومريح للحياة»[2].

وقد أطلق (د. لفلوك) على كوكب الأرض المتميز بالتصميم والتنظيم الذاتي والتوازن البيولوجي اسم (Gaia) والاسم مأخوذ من آلهة الإغريق للأرض الذين ربّوا الناس، ويمكنهم أن يكونوا قاسيين لأولئك الذين لا يعيشون في تناغم مع كوكب الأرض [3].

ولقد برهنت الدراسات والملاحظات على صحة نظرية د. لفلوك عن كوكب الأرض (Gaia).

يقول البيولوجي الأمريكي (د.سيفير): «بالرغم من كل التحديات على أصعدة مختلفة فكوكب الأرض ككل يبقى ثابتاً بشكل مثير، لقد أصبح واضحاً أن لب وغلاف وقشرة الأرض والمحيطات والغلاف الجوي يمكن أن يُرى كنظام تفاعلي معقد، كما أن الأرض

---

(1)James lovelock ,Gaia , 2000 p v11

(2)Lovelock , Ibid.p1

(3)Geofry Simmons ,Billions of missing links , 2007 ,p48

كنظام يعيد التدوير بشكل هائل لـه نظير في النمـوذج الفسـيولوجي للتوازن الديناميكي المعروف بالنظام المستقر والمتوازن للإنسان»[4].

وكما هـومعروف أن الحيـاة توجد في ثلاثـة أغلفـة حيويـة مختلفـة، وهي الغلاف المائي (البحار والمحيطات) والليثوسفير (التربـة) والغـلاف الجوي (الهواء)؛ إلا أن هناك تداخلاً وترابطاً بينـها بحيـث تقضـي كل الكائنات الحية وجودها في نفس الجوار، وكل موقع له قواعده الخاصـة مـن أشـكال الحيـاة وسلسـلة الغـذاء والأنظمـة البيئويـة[5].. يقـول البيولوجي الأمريكي (د. جيفري سمنس): «كل هذه الاعتبارات تفـرض التصـميم الـذكي بسـبب التركيبـات المصـمّمة والفسـيولوجيا المعقـدة والتفـاعلات الاجتماعيـة والصـيانة المسـتقرة والـتحكم في البيئــة، وبـالرغم مــن أن الأغلفــة الحيويـة الثلاثـة تبـدوأنها تعمـل بشــكل منفصل؛ إلا أن كل واحدة تعتمد على نجاح الأخرى»[6].

ويقول الجيوفيزيائي البريطاني (د. جيمس لفلوك): «باعتبار نظرية (Gaia) كنظريـة بديلـة عـن النظريـة الـتي تـرى أن الأرض كوكـب ميّـت ومصـنوع مـن صـخور غيـر حيـة ومحيطـات وغـلاف جـوي خامـل، تعتبـر نظرية (Gaia) أن الأرض نظام حقيقـي يشـمل الحيـاة والبيئـة، وتراهمـا

(4) Cited in Michael Denton , nature's destiny ,1998 p90

(5) Simmons , Ibid p45

(6) Ibid.p45-46

مرتبطين بقوة لتكوين كائن ذاتي التنظيم هوكوكب الأرض»[7].

لقد تغيّر النموذج من رؤية الأرض ككوكب عبثي تحكمه قوانين ميكانيكية عمياء إلى كوكب مُصمّم مترابط متداخل يحتوي على نموذج شبكي يحكمه التوازن في كل قوانينه، ومن إعجاز القرآن الكريم أنه ينطق بهذه الحقيقة العلمية التي عرفها العلماء فقط في القرن العشرين والحادي والعشرين، حيث يقول تعالى ﴿**وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ**﴾[الحجر 19].

ويقول تعالى ﴿**وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا**﴾[الأعراف 56].

وهنا نجد مرة أخرى تناغم علم الجيولوجيا مع علوم الفيزياء والكون التي بدأت بالميكانيكية والمادية والقوانين غير المترابطة وانتهت بالخلق والتصميم الذكي والترابط والنموذج الشبكي، إنها لوحة كونية وسيمفونية متناغمة تنطق بوحدة الخالق الأعظم الله تعالى.

(7)Cited in Fritjof Capra , The web of life , 1996 .p19.

سادساً : علم البيولوجيا

(علم الحياة)

Biology

الجزء الأول

انهيار نظرية دارون

لا يذكر أحد ما اسم علم البيولوجيا (علم الحياة) إلا ويظهر اسم (تشارلز دارون) كصنم لا يمكن المساس به ولا حتى التفكير في ذلك..

فليس هناك نظرية في التاريخ العلمي أُحيط بها هالة من القداسة مثل نظريته (التطور)، وليس هناك من نظرية تم تجنيد العلماء والأكاديميات والمؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية بل وحتى الفن لترسيخها بين أوساط الجماهير مثل نظرية التطور لدارون.

لقد وجد فيها العلماء والفلاسفة أصحاب الأجندة الإلحادية غذاءً دسماً؛ لأن دارون رأى أن الكائن البشري جاء من طفرة عشوائية حوّلت القرد إلى إنسان؛ فأين خالق الإنسان إذاً ؟!

ووجدت فيها السياسات العنصرية والأيديولوجيات الحاقدة مثل النازية والفاشية والماركسية والإمبريالية الاستعمارية غذاءً دسماً؛ لأن دارون رأى أن جوهر الطبيعة هوالصراع والتنافس، وأن البقاء للأقوى والأصلح؛ إذاً من حق الأقوى أن يفرض أجندته بالقوة وبحمّامات الدماء، وقد وجد فيها رجال الأدب والفنون وأصحاب فلسفة الفوضى والانفلات غذاءً دسماً لبث الانحلال وهدم الدين

والقيم والأخلاق؛ لأن الإنسان كما رآه دارون مجرد حيوان يتميز عن باقي الحيوانات بالدرجة لا في النوع؛ فلماذا تعطيل حرية الإنسان في إرواء شهواته ؟

وعلى الرغم من اهتراء كل مضامين نظرية التطور لدارون على كل مستوياتها؛ إلا أنها لا تزال هي النظرية التي تُدرّس في كل مناهج التعليم في علوم الحياة في كل العالم؛ لأنه لا بد من الاحتفاظ بأجندة الإلحاد بأي ثمن لأنها تخدم أجندات سياسية وثقافية واضحة ولقد اعترف العديد من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية بأن نظرية دارون كانت أجندة مفروضة على التعليم الأكاديمي؛ ليس بسبب صحتها من الناحية العلمية ، بل لأنها مفروضة بالقوة على مؤسسات التعليم لأسباب سياسية واجتماعية.

يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. مايكل بيهي): «لقد تعلّمت أن أقبل الداروينية بلا نقاش؛ ليس بسبب أدلتها العلمية، بل بسبب أن هذا ما كان عليّ أن أؤمن به، إن الداروينية كانت الطريقة التي نفكر بها بدلاً من أن تكون تفسيراً مدعوماً بالأدلة، باختصار لقد تعلّمت أن أؤمن بها لأسباب اجتماعية لا علمية»[1].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز): «إن القصة الداروينية بأكملها كانت موجهة عن طريق التزام مُسبّق بالنظرية

---

(1)Michael Behe , Darwin's nemesis ,2006. p42

المادية والفلسفة الإلحادية؛ فالنموذج الداروينى لم يكن شيئاً ما يمكن الاستدلال عليه من أدلة ساحقة في علم الحفريات والبيولوجيا الجزيئية وعلم الأجنة، بل شيء أُفترض منذ البداية أنه صحيح»[2].

ويعترف الفيلسوف العلمي الأمريكي (د. هانك هانيجراف) بعدم السماح بنشر الأدلة العلمية المناقضة لنظرية دارون بين الناس؛ فيقول: «في حين الذين يعيشون في المجتمع الدارويني يدركون حالة نظرية التطور لدارون الباعثة على الرثاء؛ إلا أن الجمهور العام لا يزال في جهل وظلام تام»[3].

ولأننا في هذه الدراسة المختصرة لن نستطيع أن نغطّي كل الأدلة العلمية التي قوّضت نظرية دارون وسحقتها إلى الأبد؛ إلا أننا سنركز على بعض الأدلة والمحاور التي توضح مدى ضعضعة هذه النظرية واستنادها على الخرافات بدلاً من الحقائق.

كما ذكرنا سابقاً بأن الهدف الأساسي الذي كان مطروحاً أمام العلماء منذ عصر النهضة هو الانسلاخ من الدين وترسيخ أجندة الإلحاد عن طريق تدعيم التفسيرات المادية والطبيعية والميكانيكية لقوانين الكون والطبيعة دون اللجوء إلى الخالق والمصمم، وعندما نجح النموذج الفيزيائي لإسحاق نيوتن في تفسير الكون بقوانين

(2)Jonathan Wells , Darwin's nemesis ,2006.p169

(3)Hank Hanegraff , Fatal Flaw , 2003 .p80

مادية كان لا بد من إدخال علم الحياة إلى هذا النموذج وكان الحل على يد تشارلز دارون ونظرية التطور ، وعلى الرغم من أن هناك العديد من الفلاسفة اليونانيين وعلماء الحياة قبل دارون مثل البيولوجي الفرنسي (لامارك) وغيره قد سبقوا دارون في فكرة تطور أشكال الحياة؛ إلا أن نظرية التطور قد التصقت بدارون بقوة والذي رأى استناداً على فكرة الاستمرارية والتجانسية أنه لا بد من تطبيق هذا الرأي على نشوء الكائنات الحية، ومن المعروف أن علم الحياة في العقود المبكرة للقرن التاسع عشر كان مستنداً على فكرة أن الكائنات الحية متميّزة ومنعزلة وغير مرتبطة بأشكال انتقالية؛ إلا أن دارون خلال رحلته على سفينة (بيجل) التي استمرت خمس سنوات كان يحمل كتاب الجيولوجي (تشارلز لايل) (مبادئ الجيولوجيا) الذي رسّخ فيه فكرة أن تضاريس وسطح الأرض تطورا بشكل مستمر بخطوات تدريجية وهي نفس فكرة الاستمرارية التي رسخها نيوتن في فيزياء الكون، وبالتالي أراد دارون تطبيق نفس الفكرة على علم الحياة؛ وعندما قام دارون بملاحظاته في جزر (جالا باجوس) وهي جزر بركانية صغيرة على خط الاستواء تبعد 600 ميل غرب ساحل جنوب أمريكا الجنوبية وتعد مسكونة بعدد مثير من نباتات وحيوانات متنوعة؛ أدرك دارون هذه القدرة على التنوع عند الكائنات الحية وهي التي بذرت في عقله الشك في

صلاحية ثبات الأنواع وأقنعته أن لها القدرة على التغيّر والتطور.

وبعد هذه المشاهدات التي رآها دارون أثناء رحلته؛ رسم تناظراً بين الانتخاب الاصطناعي الذي يمارسه الإنسان عندما يقوم بتهجين الحيوانات والنباتات ليخلق أنواع محسّنة، وبين فكرة الانتخاب الطبيعي -التزاوج بين الكائنات الحية- التي تتم في الطبيعة بشكل عشوائي وتصادفي حتى يتم خلق كائنات حية جديدة، وعلى الرغم من هذه التناظرية المزعومة التي رآها دارون بين الانتخاب الاصطناعي والانتخاب الطبيعي؛ إلا أن دارون لم يمتلك آلية التغيُّر القادرة على الخلق والتطوير حتى قرأ دراسة قدّمها أستاذ الاقتصاد والتاريخ الكاهن (توماس مالتوس) والذي افترض فيها أن السكان البشريين يتكاثرون بشكل متزايد أكثر من وسائل الإنتاج، وبالتالي يتم إنتاج أفراد أكثر من تلك التي يمكن لها أن تعيش؛ مما يستلزم أن تكون الكائنات الحيّة معرّضة لصراع عنيف ومستمر والذي سيبقى هوالأصلح والأقوى[4].

ومن خلال قراءة دارون لفكرة مالتوس قام بتأليف كتابه الذائع الصيت (أصل الأنواع) (The origin of species) الذي تم نشره عام 1859م وشيّد فيه نظرية التطور التي تستند على الأفكار التالية:

1- التزاوج بين الكائنات الحية سيؤدي إلى خلق أنواع جديدة مع مر الزمن؛ لأن هناك مرونة وراثية لانهائية في التكوينات الوراثية

(4)Michael Denton , Evolution: A theory in crisis , 1985. P42

للأحياء.

2- هناك زيادة هندسية تشير إلى أنه سوف يتم إنتاج أفراد أكثر من كل نوع، بحيث تكون أكثر من تلك التي ينبغي لها أن تعيش.

3- هناك صراع وتنافس بين الكائنات الحية على الطعام، والبقاء سيكون للأقوى وللأصلح.

4- هذا الصراع من أجل الوجود سيؤدي إلى وجود تغيُّرات صغيرة (الطفرات العشوائية)، والمفيدة منها سوف تتراكم تدريجياً وتُنتج نوعاً جديداً، والتخلّص من الصفات غير المفيدة وبقاء المفيدة هو الانتخاب الطبيعي.

5- التشابهات في التصاميم الجسدية وبعض السلوكيات للأنواع الحية دليل على أن الأحياء تحدّرت مع التعديل من سلف مشترك، بمعنى أنها ذرّية بعضها من بعض، وتعدّلت طبقاً لتكيفاتها مع البيئات المختلفة.

إلا أن جميع أفكار دارون السابقة كما أثبتت الدراسات والملاحظات العلمية خاطئة برّمتها..

يقول أستاذا الفيزياء الحيوية الأمريكيان (د. جورج ستانسيو و د. روبرت أجروس): «هذه العقيدة الداروينية قد هيمنت على علم البيولوجيا منذ زمن طويل وإلى اليوم، لكن من العجيب أنها لا تنسجم مع الملاحظة العلمية؛ فالصراع الوحشي بين الأنواع من

الصعب الإشارة إلى أمثلة واضحة عنه، ولا يوجد الضرر المتبادل بين الأنواع في الطبيعة، والعديد من علماء البيئة والخبراء في حقل دراسات الحيوانات يعترفون بصراحة أن التوقعات الداروينية لم تتولد عن طريق الحقائق والملاحظات»[5].

والآن سندرس -باختصار- النقاط الرئيسية التي اعتمد عليها دارون في بناء نظريته الكسيحة:

1- التزاوج بين الحيوانات يؤدي إلى خلق أنواع جديدة:

كما قلنا أن دارون قد رسم تناظرية بين الانتخاب الاصطناعي الذي يقوم به الإنسان لتحسين السلالات، وبين الانتخاب الطبيعي أي التزاوج بين الكائنات الحية الذي افترض أنه يتم في الطبيعة بين الكائنات الحية لإنتاج أنواع جديدة، وبالتالي فقد اعتقد دارون بوجود مرونة لانهائية من الناحية الوراثية في الكائنات الحية؛ لهذا يمكن لها أن تتغير تدريجيا خطوة إثر خطوة حتى يتم خلق نوع جديد.

ولكن التجارب العلمية برهنت على خطأ افتراض دارون؛ فمثلاً بين عامي 1800م و1878م زاد التهجين من محتوى السكر للبنجر السكري من 6٪ إلى 17٪، لكن بعد 50 سنه من التجارب المتوالية لم يتم إنتاج أي زيادة أكثر [6].

(5)George Stanciu and Robert Augros ,The new biology , 1987.p81

(6)Stanciu and Augros , Ibid .p159

ويقـول أسـتاذا الفيزيـاء الحيوية الأمريكيـان (د. جـورج ستانسـيو و د. روبـرت أجـروس): «بعـد 1400 سـنـة مـن تهجـين الكـلاب أنـتج الإنسـان مقـادير لا حصـر لهـا مـن التنوعـات، لكـن لم يتم خلق نـوع جديد، وكل أجنـاس الكـلاب قابلـة للتهجين بـالرغم مـن أن بعضـها ممنوعة من التزاوج عن طريق الاختلاف في الحجـم، وبعـد الوصـول إلـى حـد معـين تحـبط العضـويات المهجنـة كـل المحـاولات الزائـدة في التطوير؛ لأنها تصبح عقيمة أوترتد إلى النوع الأول»[7].

ويقـول البيولوجيـان الأمريكيـان (د. ديـن كيـنين ود. بيرسـفال ديفـيس): «المزاوجـون يمكـن أن ينتجـوا ثمـرة أكثـر حـلاوة أوماشـية أسمـن، لكـن لـن يستطيعوا تحويـل القمـح إلـى نبـات آخـر، أوالأغنـام إلـى نوع آخر، إن الـذي ينجـزه المزاوجـون تنـوع ضـمن نـوع واحـد، أي التطور الصغير وليس التطور الكبير»[8].

بل إن التجربة العلمية برهنت على أن التحسينات الـتي تـتم عـن طريق الانتخاب الاصطناعي قد تلازمت مع تقليـل الملائمة للحيـاة تحت الشروط الطبيعية.

يقول البيولوجي الأمريكي (د. دوان جش): «يجب أن يتم التأكيد بقوة على أنـه في كل الحـالات هـذه العمليـات التهجينيـة قللت قابليـة

(7), Ibid .p159

(8)Dean Kenyon and Percival Davies , of panda and people , 2005.p11

النمو؛ أي أن قدرة الكائنات الأساسية على البقاء تم إضعافها، والنباتات والحيوانات الأليفة المهجّنة لا تتنافس بشكل جيد مع الأنواع التي في الغابة»[9].

إذاً المرونة اللانهائية التي تصوّرها داروين في عملية التهجين والتزاوج التي ستؤدي إلى خلق نوع جديد دحضتها التجربة العلمية.

يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د. مايكل دنتن): «لم يكن داروين قادراً على الإشارة إلى حالة صحيحة واحدة بأن الانتخاب الطبيعي قد ولّد تغيُّراً أدى إلى التطور في الطبيعة، ناهيك عن أن تكون مسؤولة عن خلق نوع جديد»[10].

وعلى الرغم من كل الدراسات التجريبية التي برهنت على أكذوبة فكرة الانتخاب الطبيعي كقوة خلاّقة؛ إلا أنها ما زالت أيقونة تزخرف كل الكتب الدراسية في الأكاديميات.

2 - الزيادة الهندسية للأنواع ستؤدي إلى إنتاج أفراد أكثر من كل نوع من تلك التي ينبغي لها أن تعيش:

لقد برهنت الملاحظات العلمية على خطأ افتراض داروين بأن هناك زيادة هندسية في الأحياء؛ فهناك نطاق واسع من الحيوانات

(9)Duane Gish , The fossils still say no , 1995.p32-33

(10)Denton , Ibid .p62

تُغيّر عدد ذريتها وتسيطر عليه طبقاً لكمية الطعام المتوفر؛ فمثلاً تم البرهنة على أن البومة ذات الآذان الصغيرة يكون لها ضعف عدد الذرية عندما يكون الطعام متوفراً[11].

ويشير أستاذا الفيزياء الحيوية الأمريكيان (د. ستيانسيو و د. أجروس) إلى أن ثعلب القطب الشمالي معروف بأنه يُنتج ذريّه أكثر عندما تكون أنواع من القوارض قصيرة الذيل متوفرة، وأن الأسود تجلب أشبالاً أقل أوأكثر طبقاً لتوفر الطعام على النقيض من السنوات القاحلة حيث العديد من الأنواع لا تتزاوج إطلاقاً[12].

ولقد برهن البيولوجي الأمريكي (د. واين إدواردس) على أن الحيوانات تدير مصادرها للطعام عن طريق السيطرة على أعدادها الخاصة؛ فالمجموعات الحيّة محفوظة من الفناء ليس عن طريق القوى الخارجية أوالموت جوعاً أوالمرض، بل بقوى داخلية مبنية في الحيوانات[13].

ويقول أستاذ الفيزياء الحيوية الأمريكي (د. لي سبتنر): «النباتات لاتتكاثر في حقل ما إلى النقطة التي تصبح فيها مزدحمة، وهي لا تدخل في صراع من أجل الوجود؛ بحيث الانتخاب الطبيعي يحفظ القوي

(11) Augros and Stanciu Ibid .p127

(12) Ibid .p127

(13) See Lee Spetner , not by chance , 1998.p16

ويدمّر الضعيف، بل إن النباتات تتجه إلى التحكم في مجموعتها عن طريق الإحساس بكثافة الإنبات؛ فعندما النمويتكثّف تنتج النباتات بذوراً أقل، وعندما يخف النموتنتج بذوراً أكثر»[14].

وهنـاك الكـثير والكـثير مـن السـلوكيات المدهشـة للحيوانـات والنباتات توضح مدى التصميم والتقدير في خلق الأحياء.

يقـول أسـتاذا الفيزيـاء الحيويـة الأمريكيـان (د.ستانسـيو و د. أجـروس): «إن المجـاميع الحيوانيـة والنباتيـة ذاتيـة التنظـيم وتبرهن على أن الحياة موجهة»[15].

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[الذاريات 20].

3 - الصـراع والتنـافس بـين الكائنـات الحيـة سـيؤدي إلى البقـاء للأصلح والأقوى:

لقد كشفت الدراسات العلمية الميدانية بأن الطبيعة أكثر جمالاً وأناقـة مـن تصـورات دارون؛ فالتعـاون والاعتمـادات المتبادلـة همـا السـمة الجوهريـة لسـلوكيات الكائنـات الحيّـة ولـيس الصـراع والتنـافس، والأمثلـة علـى ذلـك لا حصـر لهـا، ولكـن سـنكتفي بسـرد بعض الأمثلة التي تبين خطأ دارون في نظريته الكسيحة.

---

(14) Spetner , Ibid .p16-17

(15) Stanciu and Augros, Ibid .p129

مثلاً: هنـاك العلاقـة التكافليـة بـين البكتيريـا المثبتـة للنيتـروجين والنباتات؛ حيث تحصل النباتات على النيتروجين من هذه البكتيريا، بينما تحصل البكتيريا على الطاقة مـن النباتـات، وهنـاك في سـاحل جزيرة اندونيسيا يعيش جمبري في شراكة مع سمك أرجواني يسمى (جـوبي)؛ حيـث الجمـبري يعمـل بقـوة كـل النـهار نـاقلاً أنقـاض السلاسل المرجانيـة للبحـث عـن الطعـام لإطعـام كليهمـا، في حـين أن سمك (جوبي) يراقب سمك العقرب الذي قد يأكل الجمبري [16].

وهناك خنافس شجرة التّوب (وهي أشجار دائمة الخضـرة لهـا إبـر مسطّحة وأكـواز منتصـبة) تسـتخدم الفطريـات لتسـد ثقـوب الجُحـر، والفطريات تستخدم مخلّفات الخنافس من الطعام للأكل [17].

ويقول الجيولـوجي البريطـاني (د. ريتشـارد ميلتـون): «إن أغلبيـة آكلات اللحوم لا تتغذى علـى الفريسـة الـتي قتلتها بنفسـها، بـل بـدلاً من ذلك تتغذى على الـرمم والجيـف أوالبقايـا، وهـذا يشـمل الأسـود وأسمـاك القـرش الـتي تأكـل في أغلـب الأحيـان لـيس بمجهودهـا الخاص بل بجهد أسد آخر أو سمك آخر ، وبذلك لا يستلزم وجـود القتال والصراع» [18].

(16) Frank Rayan , Darwin's blind spot , 2002 .p16

(17) Geofry Simmons , Billions of missing links , 2007.p138

(18) Richard Milton , shattering the myth of Darwinism , 1997.p120

ويقول البيولوجي البريطاني (د. جوردن تايلور): «في الواقع إن التنافس نادر جداً، ومثال دارون عن الذئاب المطاردة للأيل حيث اعتقد أن الأسرع من الذئاب سوف يقتل الأيل ويحصل على اللحم وحده يعد خاطئاً؛ حيث إنه في الواقع أن الذئاب يصطادون في جماعات ويتقاسمون الفريسة»[19].

وهناك التعاون الرائع بين النباتات والحيوانات؛ حيث كل منهما يحتاج للآخر؛ فالنباتات تستخدم ثاني أكسيد الكربون الذي في الهواء، وتستخدم الماء في التربة لتصنع السكريات وتطلق الأكسجين، والحيوانات تستهلك سكريات النباتات وتؤكسدها لإنتاج الطاقة؛ مطلقة مرة أخرى ثاني أكسيد الكربون إلى الهواء ومعيدة الماء إلى التربة على شكل(يورين) أحد مكونات البول والدورة مثالية ولا يفقد شيئاً[20].

والحقيقة أن القائمة عن التعاون والتكافل في الطبيعة لا تنتهي، ولكن هذه بعض النماذج التي تبيّن مدى خطأ فكرة دارون عن الطبيعة الملطخة بالدم والمعتمدة على صراع الناب والمخلب.

يقول الكيميائي الأمريكي (د. جيمي ديفيس): «إن الكائنات الحيّة يبدوأنها خُلقت من أجل بعضها البعض» [21].

---

(19) Gordon Taylor , The great evolution mystery , 1983 .p3

(20) Stanciu and Augros ,Ibid .p116

(21) Jimmy Davies and Harry poe , Designer Universe , 2003.p164

ويقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د. فريتيجـوف كـابرا) والكيميـائي الحيوي الإيطالي (د.ليوجي ليوسي): «إن الإيثار والتعاون معروضان بشكل واسع على المستوى الاجتماعي في تكوين مجموعات الحيوانات والعـــائلات والقطيـــع والأســـراب .. إن التعـــاون المتبـــادل يعـــد جوهرياً»[22].

ويعتـرف البيولـوجي الأمريكـي (د. فرانـك ريـان) بـأن ظـاهرة التعاون قد تم إهمالها تمامـاً؛ فيقـول: «إنـه لمدة 100 عـام بعد نشـر كتاب (أصل الأنواع) أتباع دارون أهملوا دور التعاون في الطبيعة؛ لأن الداروينية تفترض الصراع في التطور»[23].

ويعتـرف الفيزيـائي الفلكـي الأمريكـي (د. هـوف روس) بـأن هـذا التنظـيم في الطبيعـة لا يمكـن إلا أن يكـون مـن الخـالق والمصـمّم الأعظم اللّه تعـالى؛ حيـث يقـول: «خلـق الخـالق الحيـاة بشـكل متسـق بعلاقات بيئوية فعّالة، وكل الحيـاة الـتي خلقهـا مـن بكتيريـا ونباتـات وآكـلات النبـات وآكـلات الحيوانـات والطفيليـات كانـت مُصـمّمة لتتداخل بنمط يعزّز الكيفية لحياة الجميع»[24].

وعـن التعـاون في الطبيعـة وانسـجامها مـع فكـرة الترابطيـة والرؤيـة

(22)Fritjof Capra and Luigi Luisi , The systems view of life , 2014.p204

(23)Rayan , Ibid .p199-200

(24)Hugh Ross , Creation as Science ,2006 .p127

التكاملية والنسيج الشبكي المتداخل للكون بأسره يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. لوثار شافير): «كشفت الحقيقة الفيزيائية الطبيعة الكلّية غير القابلة للانقسام حيث كل شيء مترابط، وبهذا فتطور الحياة لم يكن مقاداً بمبادئ انعزالية مثل التنافس والأنانية، بل بالرؤية التكافلية المبرهن عليها التي ترى أن تطور الحياة المعقد يحتاج إلى التعاون البيولوجي وتشارك المعلومات»[25].

ولأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون والحياة بخاصية الترابطية والتعاون والتداخل والنسيج الشبكي غير القابل للانقسام فقد أنزل في قرآنه العظيم هذا التوجيه الإلهي للبشرية الذي يتناغم مع قوانين الكون والحياة فيقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ**﴾[المائدة 2].

إنها الأخلاق القرآنية المتناغمة مع قوانين هذا الكون بكل محتوياته .. إنه التعاون والترابط لا العدوان والصراع.

أما التنافس بين الأنواع على مصادر الطعام الذي تصوّره دارون في نظريته كآلية تجعل البقاء للأقوى والأصلح؛ فقد برهنت الدراسات العلمية الميدانية على خطأ هذه الفكرة، فالطبيعة تتّبع تكتيكات عبقرية تتجنب من خلالها التنافس بين الأنواع على مصادر الطعام وهي الآتي:

(25)Lothar Schafer , quantum physics of consciousness , 2011.p76

أولاً: العزل الجغرافي: إن الانتشار عبر الكرة الأرضية جعل الكائنات الحيّة تسكن قارات منفصلة؛ فهناك مئات الأميال من المحيطات أو الصحارى الواسعة أوالسلاسل الجبلية الضخمة التي تعزل العديد من الكائنات الحيّة عن بعضها وتمنع بفعالية التنافس، وتسمح للأرض بأن تدعم تنوعاً أكثر ثراءً من الحيوانات والنباتات وهذا هوالسبب الذي يجلب كارثة بيئية وأحياناً انقراض للأنواع الأصلية عندما يُدخل الإنسان نوع جديد إلى منطقة لا يظهر فيها بشكل طبيعي[26].

ثانياً: تقسيم الأرض إلى أماكن خاصة ذات تخصصية في الطعام: الكائنات الحيّة التي تحتل نفس المكان تتجنب التنافس بحيث حيوانات متشابهة تتواجد معاً بدون تنافس؛ لأنها تأكل طعاماً مختلفاً أوتعمل في أوقات مختلفة أوتحتل أماكن بيئوية مختلفة؛ فمثلاً:

التخصص في الطعام يعد واحداً من أبسط الطرق التي تتجنب بها الأنواع الحيوانية التنافس؛ فهناك مثلاً في بحيرات معينة في أفريقيا ثلاثة أنواع من طيور الحبّاك الصفراء تحيا جنباً إلى جنب بدون صراع؛ فهي لا تتقاتل من أجل الطعام حيث نوع واحد يأكل فقط البذور السوداء وأخرى تأكل البذور الخضراء الرطبة وأخرى تأكل الحشرات[27].

(26) Augros and Stanciu, Ibid .p91

(27) Ibid .p94

ثالثاً: تقسيم المكان طبقاً للزمان يعد إستراتيجية أخرى مستخدمة لمنع التنافس؛ حيث أن معظم الأماكن تدعم مجتمعين بيئويين ليلي ونهاري؛ فأثناء النهار النحل والفراشات ومعظم السحالي ومعظم الطيور تعد نشيطة، وفي الظلام تنسحب وتبدأ الوردية الليلية بما في ذلك الصراصير والفئران والخفافيش والبوم[28].

رابعاً: هناك استراتيجيات تخصصية للصيد عند الحيوانات تمنع التنافس؛ فمثلاً هناك خمسة من آكلات اللحوم الأسد والنمور والفهد والضبع وكلب الغابة تتواجد سوياً دون تنافس؛ لأن هناك خمس طرق مختلفة للصيد، يقول عالم البيئة الأمريكي (د.جيمس جولد): «آكلات اللحوم تتجنب التنافس في الصيد لأنها تعمل أساساً في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة، وتستخدم تقنيات مختلفة للحصول على أنواع مختلفة من الفرائس؛ فالفهود فريدة في استراتيجيتها في المطاردة؛ فهي ذات سرعة عالية، وبالتالي فقد تخصّصت في الغزلان الصغيرة فقط، أما النمور فهي تستخدم استراتيجية الكمائن؛ بحيث لا تفضّل فريسة بعينها، أما الضبع وكلاب الغابة متشابهان، لكنهما يصطادان في أوقات مختلفة، والأسد يصطاد معتمداً على الهجوم القوي والقصير وعلى ذراعه القوي»[29].

(28)Ibid .p95

(29)CitedinAugros and Stanciu ,Ibid .p99

وهناك أمثلة عديدة تبيّن عبقرية التكتيكات التي تتّبعها الطبيعة لمنع التنافس بين الكائنات الحيّة على الطعام.

يقول أستاذا الفيزياء الحيوية الأمريكيان (د. جورج ستانسيو) و(د. روبرت أجروس): «إن الطبيعة تكرّس كل عبقريتها في تطوير تقنيات تحبط الصراع بين الأنواع، وبالتالي ليس من المدهش أن الباحثين الحاذقين الذين حاولوا أن يوثقوا التنافس كانت نتائجهم مخيبة للآمال»[30].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. آلي أمرسون): «إن الصراع المتبادل غير معروف لدينا»[31].

إن فكرة الخلق والتصميم الذكي للحياة واضحة على أنصع ما يكون، ولا يمكن أن تكون هذه الاستراتيجيات الهادفة نتيجة الصدف والعشوائيات كما زعم دارون وتابعيه من الملحدين.

يقول الفيزيائي الأمريكي د. فريتجوف كابرا والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «التعبير عن إبداع الحياة يجب أن يُرى كوجه من عملية أوسع، فالحياة تعد مرتبطة بالمعرفة، وتعد عملية معقدة ومنظمة بدرجة عالية ، وفي النهاية تعد عملية واعية»[32].

(30)Ibid .p101

(31)Cited in Augros and Stanciu , Ibid .p90

(32)Capra and Luisi , Ibid .p215

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هـوف روس): «إن خـواص الكــون والأرض والحيـــاة تعكـــس بشـــكل واضـــح خيـــار الخـــالق وتصميمه»[33].

ومن إعجـاز القـرآن أنـه يخبرنـا بحقيقـة رحمـة الله تعـالى علـى مخلوقاته في مسألة الرزق فيقول تعالـى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هود 6].

إن الله تعـالى قـد خلـق الأحيـاء وتكّفـل بأقواتهـا؛ بحيـث لا يوجـد التنافس والصراع بل العيش الآمن، فكل مخلوق قد علّمـه الله تعـالى الخطة التي يتّبعها للعيش دون الإضرار بالآخرين.

يقول تعالـى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى 1-3].

إنه الخلق والتقدير والهداية الإلهية وليس الصراع والتنافس كما زعمت نظرية دارون الكسيحة.

4 - أما ما قالـه دارون عن أن الصـراع سيـؤدي إلى تغيـرات صغيـرة (الطفـرات العشـوائية)، بحيـث لوكانـت مفيـدة فسـوف تتـراكم تـدريجياً خطـوة إثـر خطـوة وتنـتج نوعـاً جديـداً؛ فهـذا يسـتلزم أن نفحص الآتي:

(33)Ross , Ibid .p81

أ - **السجل الحفري:** The Fossil Record

تعد دراسة السجل الحفري من أهم الدراسات؛ لأنها أساس التحقق من نظرية دارون التي ترى أن الحياة تطوّرت بدءاً بكائن حي ذي خلية واحدة كسلف مشترك لكل الكائنات الحيّة، ثم تطورت تلك الخلية عن طريق قوانين عشوائية تدريجياً وبذلك تفرّعت الحياة بشكل مستمر وأنتجت كائنات حيّة إلى أن جاء الإنسان بدون قيادة ذكية ولا توجيه.. وقد رأى دارون أن الحفريات ستوضّح سلسلة مستمرة تدريجية من الأشكال الانتقالية التي تدعم فكرته عن التطور، وقد اعتقد دارون أن عدد الوسائط ستكون هائلة إلا أن الدراسة العلمية للسجل الحفري دحضت فكرته.

الحفريات هي البقايا الممعدنة (ذات تكوين معدني) أوالبصمات التي عاشت في الماضي؛ حيث كل النباتات والحيوانات يمكن أن تتحفر في الطبقات الرسوبية، وعندما الأخيرة تتحجّر تماماً تخلق أثاراً باقية ومستمرة للكائن الحي في الصخور[34].

وقد كشفت الدراسات العلمية أن السجل الحفري قد احتوى على ثلاثة أمور انهارت على ضوئها نظرية دارون وهي:

1- عدم وجود الأشكال الانتقالية الوسيطة بين الأنواع.
2- ظهور الكائنات الحيّة لم يكن تدريجياً كما تصوّر دارون، بل على شكل انفجارات وبشكل مفاجئ بدون أسلاف.

(34) Stephen Meyer and Ralph silk , explore evolution , 2007.p16

3- ظهور الكائنات الحيّة كان على شكل انشعابات؛ بمعنى أن العديد من مختلف الكائنات الحيّة تظهر بالتزامن ودفعة واحدة.

ولأن هـذه الدراسـة المختصـرة لـن تكفـي للتفاصـيل؛ فسـنكتفي باعترافات أكبر العلماء والخبراء في مجال دراسة السجل الحفري.

يقـول عـالم الحفريـات الأمريكـي (د. سـتيفن سـتانلي): «السـجل الحفري المعروف لا يتطابق مع التدرجيّة»[35].

ويقـول الجيولـوجي الأمريكـي (د. كاسـي ليوسـكن): «إن تـاريخ الحيـاة يوضـح نمـاذج مـن الانفجـارات حيـث أشـكال حيّـة تـأتي إلى الوجود بدون أي أسلاف وهذا دليل يتفق مع نظرية التصميم الذكي التى ترى أن الأنواع تظهر بشكل مفاجئ»[36].

ويعترف البيولوجي وعـالم الحفريات الأمريكي (د. ستيفن جـاي جولـد) وهـومن أكـبر الـداروينيين تعصّـباً بقولـه: «إن غيـاب الـدليل الحفري للمراحل الوسيطة بين الكائنـات الحيّـة وعـدم قـدرتنا حتى علـى أن نتصـور الوسـائط الوظيفيـة يعـد أعمـق مشـكلة للتفسـيرات الداروينية للتطور»[37].

ويقـول البيولـوجي وأسـتاذ علـم الجينـات الأسـترالي (د. مايكـل

(35) Cited in Augros and Stanciu , Ibid .p161

(36) CasyLuskin , Intelligent Design 101 ,2008.p95

(37) Ibid .p96

دنتن): «الطبيعة ما زالت متقطّعة تجريبياً ومكونة من أشكال فريدة لا متغيرة، وليس هناك دليل واحد على أن الفجوات تم تجسيرها بالاستمرارية الوظيفية المطلوبة من النظرية الداروينية»[38].

ويؤكد البيولوجي (د. مايكل دنتن) على الظهور الانفجاري والمفاجئ للكائنات الحيّة فيقول: «إن التطور الانفجاري ليس ظاهرة خاصة بالتطور الحيواني، بل إن نفس النموذج من الظهور يُرى في النباتات»[39].

ويقول عالم الحفريات البريطاني (د. توماس كمب): «عملياً في كل حالات الأنواع الجديدة فهي تظهر لأول مرة في السجل الحفري وصفاتها المتميزة موجودة تماماً ، ولا يوجد عملياً أشكال لمجموعات انتقالية»[40].

وعن ظهور الكائنات الحيّة السريع والمتزامن والمتشّعب في السجل الحفري للعديد من الأنواع دفعة واحدة أي (الانشعابات) «Radiations» يقول أستاذا الفيزياء الحيوية الأمريكيان (د. جورج ستانسيو) و(د. روبرت أجروس): «إن هناك ميّزة مهمة للسجل الحفري هي السرعة للتنوع أوالاختلاف أو التشّعب؛ فكل الرتب

(38)Michael Denton , evolution still A theory in crisis , 2016.p59

(39)Denton , nature's destiny , 1998.p298

(40)T.S. Kemp , Fossils and evolution , 1999.p246

الجديدة تظهر فجأة وبالتزامن بدون أي دليل على مراحل وسيطة، وهـذه الانفجـارات المفاجئـة للحيـاة النباتيـة والحيوانيـة نموذجيـة للمعلومـات الحفريـة؛ حيـث أن أصـل واحـد يتفـرع إلى العديـد مـن التصاميم الجسدية ويتشّعب في اتجاهات متعددة دفعة واحدة»[41].

ويؤكد هـذا الـرأي أحـد أكبر علمـاء الحفريـات في العـالم حاليـاً وهوعالم الحفريات الأمريكي (د. روبرت كارول) الـذي يقـول: «على النقـيض مـن افتـراض دارون في نظريتـه للتطـور بـأن التغيّـر كـان تـدريجياً وبشـكل مسـتمر؛ فالسـجل الحفـري يبـرهن علـى أن تـاريخ الحيـاة موسـوم بعـدد مـن الانشـعابات السـريعة الـتي أثمـرت ظهـور نطاق واسع من النماذج التشريحيّة وطرق التكيّف»[42].

وهذا النموذج من الظهـور المفـاجئ والمتشّعب للكائنـات الحيّـة الـذي كشفه علم الحفريات الجديد قد نطق به القرآن الكريم قبل 1400 عام.

يقـول تعـالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[البقرة 164].

---

(41) Stanciu and Augros , Ibid .p173

(42) Robert Carrol , Patterns and Processes of vertebrate evolution ,1997.p360

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[الجاثية 4-3].

نلاحظ استخدام القرآن لكلمة (البث) في خلق الأحياء، ولقد جاء في (القاموس المحيط) للفيروزأبادي ص211: «بث: نشره وفرّقه»، وجاء في (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ص42 «أصل البث: التفريق».

ومن هنا نجد الدقة العلمية المتناهية لكلمة البث في القرآن؛ حيث تتطابق تماماً مع ما كشفه العلم الحديث، وهونموذج الانشعابات المتميزة للأحياء التي تظهر فجأة وفي وقت واحد.

والنتيجة نجد أن علم الحفريات يبرهن بقوة على نموذج الخلق والتصميم الذكي لظهور الأنواع الحيّة، وليس التطور التدريجي العشوائي الذي زعمه دارون في نظريته المنهارة.

يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس): «النموذج للحياة الملاحظ في السجل الحفري الذي برهن على تواجد الأنواع في المكان والزمان واستقرارها الطويل يعكس توازناً دقيقاً، إن الأدلة العلمية المستندة على المعايير الموضوعية والملاحظات تناقض التنظيم العشوائي المفترض من قبل النموذج الداروينيّ»[43].

(43)Ross , Ibid .p147

ويقـول البيولـوجي الأمريكـي (د. سـيجفريد تشـرير): «إن وجـود الفجوات بين الأنواع الأساسية تعد سمة عامة لأشكال الحيـاة، وهـذا من الصعب تفسيره في إطار نظرية التطور ويلائم نظرية التصميم الذكي»[44].

ويقـول البيولـوجي الأمريكـي (د. آر إلكسـندر): «بالفعـل نظريـة الخلق هي البديل الوحيد للتطور»[45].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا بأن تاريخ الحياة هوالخلق لا التطـور؛ حيـث يقـول تعـالى: ﴿**قـل سيروا في الأرض فـانظروا كيف بـدأ الخلق**﴾[العنكبوت 20].

فأي إعجاز وأي علم!

وما دمنا بصدد الحديث عن السجل الحفري؛ فلابد لنا أن نتعطف بسرعة إلى ظاهرة مهمة جداً وهي ظاهرة الانقراضات Extinctions التي حدثت للكائنات الحيّة عبر تاريخ الحياة في الأرض، وهي تعد أيضاً من أقوى الضربات التي وُجهت لنظرية دارون.. كيف ذلك ؟!

لقد افترض دارون عملية ميكانيكية حتمية لانقراض الكائنات الحيّة؛ فبناءً على نظريته فإن الكائنات التي ليست لها القدرة على التكيّف مع التغيّرات البيئوية ستُسهم بذرية أقل، وبالتالي نتيجة

(44) Siegefried Scherer , mere creation , 1998.p206

(45) Cited in Gish , Ibid .p366

للصـراع الـدموي والوحشـي الـذي في الطبيعـة سـيكون مئالهـا إلى الانقـراض؛ بمعـنى اعتقـد دارون أن الأنـواع سـتختفي بالتـدريج ولـن تكون هناك انقراضات جماعية مفاجئة.

والحقيقـة أن هـذا السـيناريو الـدارويني عـن الانقراضـات ثبـت خطـؤة بالكامـل؛ فقـد كشـفت الدراسـات العلميـة أن هنـاك خمسـة انقراضات كبرى حدثت في نهايات الفترات التالية:

الأردوفينيـة التي بدأت منذ حـوالي 490 مليـون سـنة وانتهـت منـذ 438 مليون سنة، والديفونية التي بدأت منذ حـوالي 410 مليـون سـنة وانتهت منذ 360 مليـون سـنة، والبرميـة الـتي بـدأت منـذ 290 مليـون سنة وانتهت منذ 245 مليون سـنة، والترياسـية الـتي بـدأت منـذ 245 مليون سـنة وانتهت منـذ 210 مليـون سـنة، والطباشـيرية الـتي بـدأت منذ 145 مليون سنة وانتهت منذ 65 مليون سنة.

وهـذه الانقراضـات تـدحض نظريـة دارون تمامـاً؛ فقـد تبـيّن أن أسبابها مختلفة عمّا تصوره دارون؛ لأنهـا كانـت انقراضـات جماعيـة ولم تكن بسبب سوء التكيف مع البيئة.

يقـــول أســـتاذا الفيزيـــاء الحيويـــة الأمريكيـــان (د. ستانســـيو) و(د.أجـروس): «الانقراضـات لا تثبـت أن الطبيعـة أنتجـت كائنـات حيّـة بطريقة عشوائية أوأنها سيئة التكيف مع البيئـة لـذلك انقرضـت، بل إن

السمة الكبرى للسجل الحفري هي الانقراضات الجماعية المتكررة»[46].

بل إن أسباب العديد من الانقراضات كانت أسباباً كونية؛ حيث ثبت أن السبب في انقراض الديناصورات منذ 65 مليون سنة وقد عاشت حوالي 150 مليون سنة وكانت ناجحة كان بسبب تصادم كويكب مع الأرض قطره 10كم -15كم بسرعة 20كم/ث، والدليل على ذلك انتشار عنصر الأيريديوم في الطبقة التي تعلّم نهاية الفترة الطباشيرية في السجل الجيولوجي، وهوعنصر نادر في قشرة الأرض وشائع في النيازك[47].

بل إن الدراسات العلمية برهنت على أن عملية الانقراضات كانت انتقائية؛ بحيث لا تدمر كل الكائنات الحيّة بل تفسح المجال لكائنات أخرى أن تحيا وبذلك تعيد تشكيل الحياة.

يقول عالم الحفريات البريطاني (د. بول تايلور): «الإنقراضات لا تؤثر على كل الأحياء وبشكل متساو، وبدلاً عن ذلك فكل من حجم وخلفية الانقراضات تعرض انتقائية طبقاً لطبقات بيولوجية متنوعة»[48].

(46) Stanciu and Augros , Ibid .p193

(47) Adapted from Stuart Taylor , Destiny or chance , 1998.p178

(48) Paul Taylor , Extinctions and the fossil record , 2004.p3

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا عن إرادة الله تعالى التي تخلق ما تشاء وتختار ما تشاء من المخلوقات يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص 68].

ليس هذا فقط، بل لقد برهنت الدراسات الجيولوجية أن هذه الانقراضات قد أثقلت الأرض برسوبيات رائعة كانت السبب في تكوين الثروات الطبيعية؛ سواءً كانت الفحم والبترول أوالغاز الطبيعي، والتي كانت السبب الرئيس في القفزة الحضارية والتكنولوجية العملاقة التي يحياها البشر اليوم.

يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس): «الخالق له إرادته على الحياة، ويحدد متى أشكال حياة متعددة تدخل وتترك مشهد الأرض، والباحثون يجدون أدلة على أن التوقيت لأحداث التنويعات والانقراضات في السجل الحفري تتّبع خطة استراتيجية وهي خطة تهيئ لاحتياجات البشر المستقبلية ليصلوا في أفضل زمن ممكن لإعلان الحضارة البشرية العالمية»[49].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يذكر لنا بأن الله تعالى لم يضمن للإنسان في هذه الأرض القوت بل لقد ادخّر له تحت تربة الأرض الثروات التي كانت السبب الرئيس في هذه النقلة الحضارية العلمية

(49)Ross , Ibid .p127

والتكنولوجيـة الـتي يتمتـع بهـا البشـر؛ حيـث يقـول تعـالـى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾[طه6].

إن قوله تعالى ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ بمعنى ما تحت التراب إشارة قرآنية إلى هذه الثروات التي جعلت الإنسان يتبوأ المكانة العلمية والتكنولوجية السامية التي يحتلها بين الكائنات الحيّة.

إذاً نظرية دارون الكسيحة لا تفسّر شيئاً إطلاقاً، وكل ما لديها العشوائيات والصدف لا غير.

ويعترف البيولوجي البريطاني (د. جوردن تايلور) بعدم قدرة نظرية دارون على تفسير الانقراضات؛ فيقول: «من الواضح أن الانتخاب الطبيعي لدارون لا يفسر انقراض المجموعات الكبرى بأية طريقة مقنعة»[50].

ويعترف الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس) بهذا الاعتراف الساحق؛ فيقول: «إن نموذج الحياة على الأرض ظهر واستمر على كوكب الأرض ليس كنتيجة عشوائية تصادفية، بل كنتاج لتدخل خارق للطبيعة من قبل خالق الكون»[51].

وكم أتمنى أن يقرأ الملحدون ما يقوله العلم والعلماء وليس ما يريدون أن يروه هم.

(50)Gordon Taylor , Ibid .p91

(51)Ross , Ibid .p108

ب -**الطفرات** Mutations: لقد ذكرنا مراراً أن تشارلز دارون كان متشبعاً بفكرة الاستمرارية والتغيّر خطوة إثر خطوة والتي طوّقت كل المنظومة العلمية في عصره والتي رسّختها فيزياء نيوتن الكلاسيكية، ولهذا فقد اعتنق دارون نظرية للوراثة كانت مقبولة بشكل واسع في عصره وهي نظرية الاندماج أوالامتزاج (BlendingTheory)، وفكرتها أن التوريث بين الكائنات الحيّة يتم على شكل ممتزج؛ بمعنى أن إسهام الأب يمتزج مع إسهام الأم بنفس الطريقة كامتزاج الطلاء الأحمر والأزرق اللذين يمتزجان ليقدما لوناً أرجوانياً، لكن هذا النموذج لوكان صحيحاً فإن أي صفة جديدة تظهر ستُفقد خلال الامتزاج التالي مثل اللونين الأزرق والأحمر الذين سيفقدان ليكوّنا اللون الأرجواني[52].

وتشارلز دارون لم يفهم التناقض الهائل الذي وقع فيه؛ فمن جهة افترض أن عملية الانتخاب الطبيعي تعد تراكماً لصفات صغيرة خطوة إثر خطوة، وفي نفس الوقت كان يؤمن بنظرية التوريث الممتزج التي تؤكد على أن الصفات الوراثية تتلاشى مع مر الوقت، ولم يكن لدى دارون ولا أي بيولوجي آخر في القرن التاسع عشر أدنى فكرة عن آليات التوريث ولا التركيب الدقيق للحمض النووي D.N.A ولا التكوينات المعقدة للوحدات الوراثية (الجينات) (Genes) ولا عن انخراطها في وظائف مندمجة متكاملة غاية في التعقيد.

(52) Adapted from Dean Kenyon and Percival Davies , of panda and people , 2005.p10

ولقـد تم حـل مشـكلة التوريـث علـى يـد البيولـوجي والراهـب الأسترالي (جريجور منـدل) (1822م -1884م) والـذي قـام بتجاربـه علـى نباتـات البـازلاء في حديقـة صـغيرة وأمضـى وقتـاً يـدرس مـا يحدث عند تهجين هذه النباتات، وفي عام 1862م اكتشـف منـدل أن الصفات المورّثة لا تختلط ولا تُخفف، بل وجد أن الصـفات الوراثيـة محكومـة بجسـيمات متقطعـة تُمـرر مـن الآبـاء إلى الذريّـة، وهنـاك صفة ربما قد تختفي مؤقتاً لكن (الجين) الـذي يشّفر للصفة يبقـى موجوداً ضـمن الكـائن الحـي وقـد يـتم تمريـره إلى الذريّـة، وعنـدما المهجّن يتسبب في ظهور واختفاء بعض الصفات، فهذا لا يمثل فائدة أوفقـداناً، بـل يمثـل تفـاعلاً للجينـات السـائدة Dominance والجينـات المتنحيّة Recessive[53].

ومـن هنـا تحولـت فكـرة التوريـث مـن الاسـتمرارية عنـد دارون إلى التقطعيـة عنـد منـدل، ومـن المـثير أن دارون كـان يصـيغ نظريـة عـن التغيّرات المستمرة، بينما برهن مندل أن الكائنات الحيّة مستقرة، وقد تجاهـل دارون إنجـازات منـدل تمامـاً وعـالم النبـات (هوجـودي فرايـز) (1848م-1915م) هو الذي جلب عمل منـدل إلى دائـرة الاهتمـام، وقـد قـام بتجاربـه الخاصـة واكتشـف أن هنـاك تغـيرات تحـدث أسماهـا بالطفرات mutations، إلا أن كل التجارب برهنت على أن الطفـرات تعد ضارة وغالباً مـا تكون مميتة، وكنتيجـة لـذلك تم خلق نظريـة داروينيـة

(53)Ibid .p10

جديدة تسمى بالداروينية الجديدة (Neo-Darwinism)؛ ففي لقاء تم عام 1940م بين العديد من العلماء مثل عالم الوراثة الأمريكي (ثيودوسيوس دوبزانسكي) وعالم الحيوان (إرنست ماير) والبيولوجي (جوليان هكسلي) وعالم الحفريات الأمريكي (جورج سمبسون) تُوّج بتركيب نظرية جديدة تقوم على دعامتين:

1- تعتمد على قوانين مندل الوراثية التي أكدت على الوحدات الوراثية المتقطعة (الجينات).

2- تعتمد على الطفرات العشوائية التي تغيّر الجينات، وبالتالي يتم خلق صفات جديدة بالتدريج، وتعد هذه الطفرات هي الآلية التخليقية للكائنات الحيّة وهي فكرة دارون نفسه.

لكن على عكس ما توقعه دارون وأتباعه؛ فقد برهنت التجارب العلمية بأن الطفرات كلها إما ضارة أوحيادية بلا تأثير أومميتة وهناك تفاصيل تقنية عديدة برهنت على هذا، لكن للأسف لا يتسع المجال لدراستها هنا لكنني سأكتفي بسرد اعترافات لعلماء على أعلى مستوى من التخصص في هذا المجال؛ لنعرف سذاجة فكرة الداروينين عن الطفرات العشوائية.

يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د. مايكل دنتن): «التعقيد للأنظمة الحيّة عظيم جداً، وسلسلة الجين الوظيفية لا يمكن أن تأتي بالطفرات التصادفية في سلسلة D.N.A وإذا كانت سلسلة جين واحدة معقدة جداً بحيث لايمكن أن تُنتج

بالصــدفة؛ إذاً فـالخلق المفـاجئ للمخلوقـات وهــي ابتكـارات أكثـر تعقيداً من مجرد سلسلة جين وظيفيـة تعد وراء متنـاول أي نـوع مـن الصدفة غير الموجهة) [54].

ويقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف) كابرا والكيميائي الحيـوي الإيطالي (د.ليـوجي ليوسـي): «الطفـرات للجينـات تعـد مسبّبة بأخطـاء تصادفية من النسخ الذاتي لـ(D.N.A)، وهي لا تحدث بشكل متكرر بما يكفي لتفسير التنوع الهائل لأشكال الحياة»[55].

ويقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. لوثار شافير): «إن عمليـة خلـق الحيـاة لم تنبثـق بطفـرات عشـوائية تدريجيـة؛ بحيـث تراكمهـا يقـود إلى أنـواع جديـدة في عمليـة خطيّـة، بـل انبثقـت عـن طريق تدّفقات وقفزات كمّية»[56].

ويذكر أحد أكبر علماء الحيـاة وهوالبيولـوجي الفرنسـي (د. بيير جراسـيه) نقطـة في غايـة الأهميـة تـدحض فكـرة أن الطفـرات العشوائية تعد آلية للخلق والابتكار؛ فيقول: «إن البكتيريا التي كانـت مجـالاً لدراسـة أساسـيات علـم الوراثـة والبيولوجيـا الجزيئيـة تعـد كائنات حيّة والتي بسبب أعدادها الضخمة تنتج معظم الطفرات؛ إلا أن البكتيريـا بـالرغم مــن إنتاجهــا العديــد والــوفير تعــرض

(54) Michael Denton , evolution a theory still in crisis ,2016.p226

(55) Capra and Luisi , Ibid .p193

(56) Luthar Schafer , Ibid .p82

استقرارية أمينة لنوعها؛ فبكتيريا E.COLI والتي طفراتها دُرست بعناية تعد أعظم الأمثلة على الاستقرارية.. إنه من المدهش أن نقول أنه للبرهنة على التطور أن نكتشف أن آليات التطور تعد آليات استقرارية لمليارات السنين»[57].

إن البكتيريا وهي من الكائنات الحيّة الأولية والبسيطة تتعرض لطفرات لكن لم تتغيّر منذ مليارات السنين، وهذا يدحض الفكرة أن الطفرات قوة خلّاقة.

بل إن هناك البيولوجي وعالم الحفريات الأمريكي (د. ستيفن جاي جولد) وهو من أشد الداروينيين تعصباً يعترف بهذا الاعتراف الذي يدحض كل النظرية الداروينية فيقول: «إن الطفرات لا تنتج مادة خام جديدة كبيرة، إننا لا نستطيع أن نصنع نوعاً جديداً بالطفرات للأنواع، ومن المعروف أن التطور هوبسبب الطفرات العشوائية؛ إلا أن الطفرات ليست السبب في التغيّر والتطور للأحياء»[58].

هذا اعتراف لواحد من أكبر الداروينيين ، ونحن نسأل إذا كانت الطفرات العشوائية ليست هي مصدر الخلق إذاً من الخالق؟.. لا يستطيع الملحدون حتى من العلماء الإجابة أبداً لأنه لا بديل عن

(57) Cited in Brad Harrub and Bert Thompson , The truth about human origins, 2003.Ibid .p303

(58) Cited in Harrbu and Thompson , Ibid .p155

الخلق والإبداع من خالق هذا الكون.

يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا): «بالرغم من أن الكيمياء الحيوية تبرهن على أن الحياة من خلق خالق؛ إلا أن العديد في المجتمع العلمي يكبحون هذا الحدس الواضح»[59].

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأحقاف:4].

والداروينيون عادة يشيرون إلى بعض الأمثلة التي اعتقدوا أنها تؤيد فكرة التطور؛ فمثلاً لاحظ العلماء أن الحشرات تتغيّر استجابة للمبيدات الحشرية، والبكتيريا تتغيّر استجابة للمضادات الحيوية بحيث تكتسب مقاومة، لكن الدراسة العلمية الفاحصة تبرهن على أن هذه الطفرات التي تجلب بعض الفوائد للكائنات الحيّة تدخل في نطاق التطور الصغير Microevolution، وهي آلية مفيدة لاستقرار النوع تحت الضغوطات التجريبية الشديدة ولا تسبب التحول من نوع إلى آخر.

يذكر أستاذ الفيزياء الحيوية الأمريكي (د. كورنيليوس هنتر) أن الطفرات التي يتحدث عنها الداروينييون من أنها تخلق وظائف جديدة وأنواعاً جديدة هي في الواقع تفتح المسار لجينات وراثية موجودة أصلاً، وأن هناك وسائل ذكية ومعقدة في المصنع الوراثي

(59)Fazale-Rana , The Cell's Design , 2008. P17

للكائنات الحيّة تتم لمواجهة تحديات البيئة والحفاظ على استقرارية الكائن الحي[60].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا أن الله تعالى قد خلق الكائنات الحيّة وهداها إلى كل ما يؤمّن حياتها واستقرارها فيقول تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه 50].

ويعترف أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. مايكل بيهي) بالتضليل في مسألة التطور بالطفرات والانتخاب الطبيعي؛ فيقول: «إن الوجه الداروني من نظرية التطور وهما قوة الانتخاب الطبيعي والطفرات العشوائية قد تم فرضه بقوة على الجمهور العام»[61].

ويعترف العديد من علماء البيولوجيا بأن هذا النوع من التطور الصغير Microevolution؛ لا يمكن أن يقود إلى التطور الكبير Macroevolution بمعنى التحول من نوع إلى آخر.

يقول البيولوجيان الأمريكيان (د. دوجلاس أروين) و(د. إريك ديفيدسون): «إن أصل الأصناف ذات المستوى الأعلى يتضمّن آليات أخرى غير عمليات التطور الصغير العادية التي يعتقد أنها تسبب التنوع..إن النظرية الداروينية المستندة على انتخاب تغيرات إضافية

(60) Adapted from Cornelius Hunter cited in Denyse Oleary , By design or by chance , 2004. P277

(61) Michael Behe, The edge of evolution , 2007.p4

صغيرة لا يمكن أن تقدم تفسيراً لخلق أنواع جديدة»[62].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. جنتر واجنر): «إن السؤال عن كيف تظهر خطة الجسم المعقدة ليست في متناول التطور الصغير، ولا يمكن أن تظهر الأنواع من الطفرات العشوائية والانتخاب»[63].

ويعترف البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د.مايكل دنتن) بهذا الاعتراف الرائع فيقول: «إن العالم الحي يعكس الإبداعية لله»[64].

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[آل عمران18].

5 - أما التشابهات (Similarities) في بعض التصاميم الجسدية والسلوكية التي اعتقد دارون أنها تؤكد فكرة التطور وأن الأنواع الحيّة تحدرّت بعضها من بعض؛ فقد سقطت على ضوء الدراسات العلمية الحديثة.

لقد اعتبر دارون أن الأطراف الأمامية للفقاريات مثلاً من أحسن الأمثلة التي تؤكد فكرته، فبالرغم من أن الخفّاش له أجنحة للطيران، والدولفين له زعانف للسباحة، والحصان له أقدام للجري، والبشر لهم

(62)Cited in Denton , Ibid .p25

(63)Cited in Denton , Ibid .p25

(64)Michael Denton , Nature's Destiny , 1998.p385

أيادي للإمساك؛ إلا أن أشكال العظام الأمامية متشابهة، واعتبر دارون هذه التشابهات في التصاميم دليلاً على التحدّر مع التعديل، ولكن هذا الدليل سقط من عدة وجوه:

أولاً: رأينا أن التزاوج بين الأنواع الحيّة لا يمكن أن ينتج نوعاً جديداً، بل تنوعات في إطار نفس النوع.

ثانياً: برهنت الدراسات العلمية أن هناك تشابهات في كائنات حيّة لا تربطها أية علاقة ولا يمكن أن يكون لها سلف مشترك؛ فمثلاً يقول البيولوجي وعالم الحفريات الأمريكي (د. كارت وايس): «هناك بعض التشابهات العضوية التي ليست بسبب التحدّر المشترك؛ فمثلاً عيون الحبّار وهوحيوان بحري رخوي من رأسيات الأرجل غالباً ما تحلل في الفصول البيولوجية لمساعدة التلاميذ لفهم العين البشرية؛ إلا أن عيون الحبّار وعيون البشر لا يُعتقد أنهما اشتقا من سلف مشترك»[65].

ثالثاً: وقع دارون في تناقض فظيع في فكرته أن التشابهات في التصاميم للأنواع الحيّة دليل على نظريته التي تعتمد تماماً على الطفرات العشوائية والتصادفية، فمن المعروف أن العشوائية لا يمكن أن تنتج تصاميم متشابهة؛ لأن العشوائية ستنتج تركيبات فوضوية.

يقول البيولوجي الأمريكي (د. روبرت ريدل): «لوكل خاصية

(65)Kurtwise , The creation hypothesis , 1994.p213

كانت حرة في التغيّر في كل اتجاه فسوف يظهر العالم الحي كخليط فوضوي عشوائي من النماذج»[66].

أيضاً فكرة كتاب دارون نفسه وهو(أصل الأنواع) لن تكون موجودة، فالعشوائية لن تنتج أنواعاً متميزة ذات ابتكارات تحدد أنواعاً ذات صفات متميزة.

يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د. مايكل دنتن): «لوالتطور كان قد حدث كما تصوّره دارون فالابتكارات المحددة للأصناف غير المتغيرة يجب ألاّ تكون موجودة»[67].

رابعاً: التشابهات في بعض التصاميم والسلوكيات للأنواع الحيّة دليل علمي ساحق على نظرية الخلق والتصميم الذكي؛ لأن الخالق سيخلق طبقاً لخطة معينة لها فعّالية وظيفية كما يفعل البشر في مصنوعاتهم ولله المثل الأعلى.

يقول البيولوجي وعالم الحفريات الأمريكي (د. كارت وايس): «البشر يركّبون أشياء تمتلك تشابهات، وهذه التشابهات لا تشير إلى علاقات وراثية، بل بالأحرى التشابهات هي بسبب اتحاد غرض مشترك؛ مثل التشابهات في الأسلحة والسيارات.. وغيرها، وكذلك المصمم الذكي المسؤول عن التنوع في الحياة سنتوقع أن يخلق

(66)Cited in Denton , evolution: a theorystill in crisis , 2016.p53

(67)Denton, Ibid .p53

تشابهات بين الكائنات الحيّة»[68].

ويقـول البيولوجيـان الأمريكيـان (د. ديـن كيـنين) و(د. بيرسـفال ديفـيس): «يبحـث المهندسـون البشـريون عـن تنويعـات علـى نمـاذج موجودة بدلاً من البدء من لا شـيء، وخبرتنـا عـن العقـول البشـرية تقدم إشارة أوعلامة عن كيفية قيام العقل الأول بعمله»[69].

ويعتـرف البيولـوجي الأمريكـي (د. نيكـولاس ريوبـك) بـأن خطـة التصاميم المتشابهة في الأنواع الحيّة دليل على الخلق الإلهي؛ فيقول: «إن الخلـق الإلهـي لـه خطـة أساسية مشتركة؛ فـالله مهنـدس خـارق القوة له خطة معينة في الطبيعة»[70].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه ينطق بهذه الحقيقـة العلميـة الـتي عرفهـا العلمـاء في هـذا العصـر، وهـي أن التشـابهات في بعـض التصـاميم الجسـدية والسلوكيات دليـل علـى وجـود الخـالق والمصـمم الذكي وليس العشوائيات والمصادفات.

يقول تعالـى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام 38].

تشير الآية الكريمة إلى أن كل الـدواب علـى الأرض والطيـور هـي

---

(68)Kurt-Wise , Ibid .p214

(69)Kenyon and Davies , Ibid .p33

(70)Cited in Denton , Ibid .p69

مخلوقات مشابهة للإنسان؛ سواءً في بعض التصاميم الجسدية أو في السلوكيات مثل العواطف وطقوس الغزل والتزاوج.. وغيرها، وذلك دليل على الخلق الإلهي والتصميم والخطة المنسّقة.

الجزء الثاني

أصل الحياة ونظرية الخلق والتصميم الذكي

إن من أكبر الألغاز والطلاسم التي تواجه البحوث العلمية هي مشكلة أصل الحياة، ولا يزال الباحثون في هذا الميدان تواجههم معضلات عويصة جعلتهم مقتنعون تماماً بعدم قدرة التفسيرات المادية والميكانيكية على حل هذا اللغز، وللأسف كما كررنا مراراً بأن هذه الدراسة الموجزة لن تكفي لدراسة التفاصيل؛ فلن نستطيع أن ندرس تفصيلاً كل السيناريوهات التي ابتكرها الماديون والملحدون لتفسير أصل الحياة، ولكننا سنقدم هنا فكرة مبسطة عن وجاهة نظرية الخلق والتصميم الذكي التي فسّرت ظاهرة الحياة وأصلها؛ نظراً للتعقيدات المذهلة التي وجدها العلماء تغلّف ظاهرة الحياة بتنوعاتها وثراءها والتي عجزت قوانين الفيزياء والكيمياء عن تفسيرها.

لقد كانت هناك فترة زمنية طويلة اعتقد فيها العلماء بصحة نظرية التوالد التلقائي للحياة من مادة لا حيّة؛ فهناك الخبرة الشائعة والمعروفة وهي أننا عندما نترك بعضاً من اللحم الفاسد نجد بعد فترة أنه أصبح مغطّى بالذباب وبعض الحشرات الدقيقة، فهذه الملاحظة جعلت العديد

من العلماء يؤكدون أن الحياة تظهر تلقائياً من المادة اللا حيّة بشكل طبيعي، ولقد أوضح البيولوجي (فرانسيسكوريدي)عام 1668م في تجربة أن الذباب الذي ظهر على اللحم الفاسد جاء أصلاً من يرقات ذباب وليس من اللحم نفسه، وبذلك برهن على أن الحياة لا تأتي إلا من الحياة، وبرهن الكيميائي الحيوي (لويس باستور) عام 1860م أن البكتيريا التي تحتشد في قطع من القش المتحللة تعد نتيجة لبكتيريا طائرة في الجو[71].

لقد كانت هذه التجارب الضربة الأولى لنظرية التوالد التلقائي للحياة، وتم البرهنة على أن الحياة لا تأتي من مادة لا حيّة، بل تأتي من الحياة.

يقول البيولوجيان الأمريكيان (د. دين كينين) و(د. بيرسفال ديفيس): «ريدي وباستور أوضحا أن الكائنات الحيّة التي تظهر كاملة لا تظهر من مواد غير حيّة»[72].

ومع ذلك فقد تصور دارون أن الحياة يمكن أن تظهر بشكل طبيعي من مادة لا حيّة وأنها تطورت عشوائياً إلى أن جاء الإنسان، وبالطبع في عصر دارون لم يكن أحد يعرف التعقيد المذهل في تكوين الخلية الحيّة؛ حيث كان يعتقد العلماء في القرن التاسع عشر بأن

(71)Kenyon and Davies ,Ibid .p1

(72)Ibid .p2

الخليـة ذات تركيـب بسـيط متجـانس ومنـهم البيولـوجي الألمـاني (إرنست هيكل)؛ إلا أن تقدم الدراسات العلمية برهن على سذاجة هذا الرأي، وتبيّنت الفجوة الهائلة بين الحياة والمادة، يقول أستاذ الفيزياء الحيوية الأمريكي (د. هوبرت يوكي): «هناك هوّة سحيقة بين الكائنات الحيّة والمادة الميّتة»[73].

وفي بداية عام 1950م حدد البيولوجي الجزيئي (فريد سانجر) التركيب الجزيئي لبروتين الإنسولين، وبذلك أوضح (سانجر) لأول مرة أن كل بروتين موجود في الخلية مؤلف من سلسلة منظمة متخصصة طويلة من الأحماض الأمينية[74].

وفي عـام 1953م اكتشـف البيولـوجي (د. جـيمس واطسـن) والفيزيائي الحيوي (د. فرانسس كريك) تركيب الحلزون المزدوج للحمض الريبي النووي منقوص الأكسجين D.N.A الذي يعد بنك المعلومات الوراثية للكائنات الحيّة، وتبيّن أنه يتكون من سلسلة طويلة من مركبات تسمّى النيوكليوتيدات، وهي عبارة عن 4 حروف وراثية هي الأدنين A والتايمين T والجوانين G والسيتوسين C.

يقول أستاذ الفيزياء الحيوية (د. لي سبتنر): «سلسة النيوكليوتيدات

---

(73) Hubert Yockey , Information Theory , evolution and The origin of life , 2005 . p5

(74) Stephen Meyer , mere creation , 1998 . p120

في D.N.A تعـد رسـالة مكتوبـة مـن أبجديـة مـن أربعـة حـروف وتحمـل معلومات الخلية»[75].

ولقد أوضحت الدراسات العلمية التالية أن البروتينات هي الماكينـات في النسـيج الحـي الـتي تـبني التركيبـات وتقـوم بالتفـاعلات الكيمائيـة اللازمة للحياة، وأنها تتكون مـن تـرابط للأحمـاض الأمينيـة في سلسـلة نموذجية مكونة من 50 – 1000 مـن الأحمـاض الأمينيـة، وكل مكـان في السلسـلة مشـغول بواحـد مـن 20 مـن الأحمـاض الأمينيـة المختلفـة والمتخصصة، وبهذا فهي تشبه اللغة البشرية المكوّنة من الحـروف الـتي تكـوّن الكلمـات والجمـل، وقـد برهنـت الدراسـات أن الترتيـب الـدقيق والمتخصص للأحماض الأمينية هوالذي يعطي الشكل الوظيفي الثلاثـي الأبعاد الدقيق للبروتين حتى يقوم البروتين بوظيفته، وتم إثبات أن هـذا التعقيـد المتخصـص للبروتينـات لا تفسـره العشـوائية والصـدفة كمـا اعتقدت نظرية دارون الكسيحة.

يقـول البيولـوجي وأسـتاذ علـم الجينـات الأسـترالي (د. مايكـل دنـتن): «العضـويات الحيّـة تعـد أنظمـة معقـدة، وتركيباتهـا المذهلـة أجمع العلماء أنها لا يمكن قد تكونت بالصدفة المحضة»[76].

ويقول الجيوفيزيائي والبيولوجي الأمريكي (د.ستيفن مير): «بدأ

(75)Lee Spetner , not by chance , 1998. P29

(76)Denton , Ibid .p38

العلماء منذ الستينيات يقدّرون التعقيد لكلٍّ من D.N.A والبروتينات والكميّة الهائلة للمعلومات المتخصصة التي تحتويها، والعديد من العلماء يرون أن إنتاج هذه الجزيئات بالصدفة برهن أنه غاية في الصعوبة»[77].

والسلسلة الخطية لجزيء D.N.A تحتوي على سلسلة من الرسائل المشفرة هي الجينات (Genes) وهي تُشفّر لتكوين بروتين معين، وكان يُعتقد أن العلاقة بين الجينات والبروتينات علاقة خطية بسيطة؛ بمعنى أن جيناً واحداً يشفر لبروتين واحد وهذا ما أسماه العلماء بالحتمية الوراثية؛ إلا أن الدراسات الحديثة برهنت على أن العلاقة أكثر تعقيداً بين الجينات والبروتينات، وأن هناك علاقة غير خطية، بمعنى أن جيناً واحداً قد يُشفّر للعديد من البروتينات، وأن عدة جينات قد تشفّر لبروتين واحد، وأن هناك تداخلاً وتعاوناً بين الجينات غاية في التعقيد، يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «إن فكرة الجين الأناني تعد مغالطة؛ إنها تنقل فكرة أن جيناً واحداً يعمل بانعزالية وبأنانية؛ إلا أنه في الواقع ليس هناك معنى للقول أن جيناً واحداً يعد مسؤولاً عن وظيفة معقدة، بل لكل وظيفة بيولوجية

(77) Stephen Meyer , Signature in the cell , 2009.p203

هنـاك دائمـاً سلسـلة مـن الجينـات تعمـل سـوياً، فالوظيفـة الوراثيـة المعقـدة يجـب أن تُـرى كشـبكة مـن الجينـات مرتبطـة بشـبكة مـن البروتينات»[78].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. ستيفن مير): «لم يُعد يُفهم الجين ككينونة موّضعة بشكل خطي ومنفرد ويتكون من خيط D.N.A، بل أصبح الجـين يُفهـم كمجموعـة توزيعيـة مـن ملفـات بيانـات متـوفرة وتقـوم بالوظيفة عن طريق نظام مُعالج معقد للمعلومات»[79].

وهـذا مـا ضـاعف الصـعوبات لنظريـة دارون الكسيحة المعتمـدة علـى العشوائيات والمصادفات والنظرة السطحيّة الساذجة لظاهرة الحياة.

أمــا تكــوين الخليــة فقــد أظهــرت الدراســات مــدى التعقيــد والتخصص لمكوناتها المذهلة والـتي لا يمكننـا إعطـاء تفاصيل دقيقـة عنها هنا؛ إلا أن تكوينـات البروتينـات وتعقيـدات مكونـات الخليـة قد أكـدّتا علـى نظريـة الخلـق والتصـميم الـذكي؛ فنظـراً للتشـابه بـين الحروف الوراثية في D.N.A التي تشفّر لتكوين البروتينات عن طريق السلسلة الدقيقة للأحماض الأمينيـة وبين الحـروف الأبجديـة الـتي تكوّن الكلمات والجمل استنتج العلماء ضرورة وجود الـذكاء المسؤول عـن تكـوين البروتينـات المعقـدة المتخصصـة، وذلـك مثـل القصـائد

(78)Capra and Luisi , Ibid .p202

(79)Meyer , Ibid .p460

والجمل التي يؤلفها الذكاء البشري، فكما أن الحروف الأبجدية وقواعد النحو لوحدهما لا يمكن أن تؤلف قصائد شكسبير إلا بوجود ذكاء شكسبير، فكذلك التكوينات الحيوية التي تتميز بالتعقيد والتخصص لا تكفي قوانين الفيزياء والكيمياء لتفسير وجودها بل لابد لها من الذكاء الذي يعد المسؤول عن تكوينها.

يقول الفيزيائي الحيوي الأمريكي (د. والتر برادلي) والكيميائي الأمريكي (د. تشارلز ثاكستون): «في حالة الرسالة المكتوبة نعرف أن مصدرها الذكاء، ومن هنا نستدل بالتناظر أن التسلسلات المعلوماتية المثيرة في D.N.A لابد أن لها مصدراً ذكياً، ولأن D.N.A مركب جزيئي جوهري لكل الحياة، فنستدل بذلك أن الحياة على الأرض لابد لها من مصدر ذكي»[80].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. واين فرير): «يبدوأنه على أساس فهمنا الحالي فهناك معقولية هائلة عن الحديث عن أن أصل الحياة يتطلب قوة خارقة للطبيعة خلقت الحياة»[81].

ويقول الكيميائي الحيوي الأمريكي (د. فيزال رانا): «إن الله هوالخالق الذي يعكس في صنعته التصميم الإلهي»[82].

---

(80)Walter Bradely and Charles Thaxton , creation hypothesis , 1994.p206

(81)WanyeFrair , Biology and creation , 2001.p29

(82)Rana , Ibid .p30

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس): «إن الخالق يتجاوز الكون الذي خلقه ويتدخل في كل لحظة زمكانية ضمن الكون نفسه؛ فالخالق قد خلق المقومات الأساسية للحياة من مواد الأرض، ثم أشعل شرارة الحياة فيها بنفس القوة التي استخدمها في إشعال الانفجار العظيم»[83].

وهكذا برهن العلم الحديث على أن الله تعالى هوالخالق المصمم والأعظم للكون والحياة.

يقول تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[الملك 1-2].

وأود هنا أن أقول للملحدين؛ سواءً أكانوا من الأكاديميين أومن غيرهم بأن البيولوجي البريطاني (د.ريتشارد دوكنز) وهو أكبر ملحد في هذا العصر ومن أكبر الداروينيين قد اعترف باعترافات ساحقة تناقض إلحاده بشكل سافر؛ فمثلاً يقول (د. ريتشارد دوكنز): «الأحياء المعقدة لها نوعية ما وهي القابلية للتخصص، والذي من غير المحتمل أنها قد اكتسبتها بالصدفة العشوائية فقط»[84].

فإذا لم تكن الصدفة العشوائية هي التي خلقت الأحياء فمن إذاً الخالق؟!

---

(83)Ross , Ibid .p120

(84)Cited in William Dembski , Intelligent Design , 1999 , p149

ويقـول البيولـوجي (د. ريتشـارد دوكـنز): «شـفرة الجينـات تشـبه الحاسوب بشكل غريب»[85].

يعتـرف (د. دوكـنز) بـأن شـفرة الجينـات تشـبه الحاسـوب (Computer)، ذلك الجهاز المعقد الذي ابتكرته أبرع العقول البشرية الرياضية والهندسية؛ فمن خلق شفرة الجينات ؟ومن الذي صمّم هذه الشفرة التي يعترف دوكنز أنها تشبه شفرة الحاسوب؟

حـتى الملحـدون لا يسـتطيعون مقاومـة فكـرة الخلـق والتصـميم الـذكي، وصـدق الله العظـيم عنـدما يقـول في محكـم تنزيلـه ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[ق 5].

والمرج هو الاختلاط، وهكذا الملحد يقع دائماً في التناقضات التي تبيّن إن إلحاده لا يستند إلا على العناد وخداع الذات لا أكثر.

(85) Cited inStephen Meyer , Science and evidence for Design in the universe , 1999.p71

الجزء الثالث

خرافة تطور الإنسان

وهنا نصل إلى أهم وربما أخطر ما ورد في النظرية الداروينية وهو تطور الإنسان؛ فطبقاً لنظرية التطور التي اعتمد فيها دارون على فكرة الاستمرارية فإن الإنسان قد تحدّر من سلالة القرود، وقد دشّن هذا الرأي في كتابه (تحدّر الإنسان) الذي تم نشره عام 1874م؛ حيث رأى دارون أن أصل النوع الإنساني كان أساساً مشابهاً لأصل الأنواع الأخرى؛ فالكائنات البشرية متحدّرات معدّلة من القردة، وأريد أن أذكر هنا نقطة مهمة؛ فلأن السجل الحفري أثبت عدم وجود الوسائط بين القرود والإنسان ، فقد تلاعب الداورنيون المعاصرون بما قاله دارون وحاولوا أن يغيّروا أفكاره وزعموا أن دارون قال أن الإنسان والقردة قد تحدّرا من سلف مشترك ولم يقل أن الإنسان تحدّر مباشرة من القردة وهذا غير صحيح.

وبالطبع كانت حجة دارون الأساسية هي التشابهات في التصاميم الجسدية وفي السلوكيات بين الإنسان والقردة والشامبانزيات، وقد أعلن البيولوجي (توماس هكسلي) وهو من أكبر الداروينيين في كتابه (مكانة الإنسان في الطبيعة) الصادر في عام 1863م: «أن

الإنسان قد تولّد بتعديل تدريجي من إنسان شبيه بالقرد؛ فالإنسان بالنسبة لتركيبه يعد أحد الحيوانات»[86].

ولكن هل فعلاً الإنسان الذي أبدع العلوم والفنون واكتشف أسرار الكون والحياة وصعد إلى الفضاء وغاص في البحار وصنع المخترعات وأبدع الرياضيات المعقدة يعد مجرد سحنة تم تعديلها بطفرة عشوائية من القردة والشامبانزيات التي ما زالت تنزع البراعم من الشجر وتأكلها؟

للأسف لا نستطيع أن نغطّي كل ما كشفه العلم الحديث عن زيف وأكذوبة الداروينية في تطور الإنسان، لكننا سنركز على بعض المحاور الأساسية.

فمن ناحية السجل الحفري فقد دحض تماماً وجود سلسلة مستمرة وأشكال انتقالية بين الشامبانزيات والإنسان، وكل ما وجده الداروينيون قطع عظمية وأجزاء من جماجم وأسنان مكسّرة يتم تركيبها لتخدم أفكار الداروينيين الخادعة، وقد اعترف العديد من أكبر علماء الحفريات والبيولوجيين بهذه الحقيقة.

يقول عالما التشريح والفسيولوجيا الأمريكيان (د. براد هارب) و(د.بيرت تومبسون): «باستخدام حفنة من قطع عظمية وجزء من جمجمة أوالقليل من الأسنان فإن فناني ورسّامي التطور يعرضون

(86)Cited in Jonathan Wells , Icons of evolution , 2000.p252

ما يريدون لنا أن نصدّق من أن هذه المخلوقات الشبيهة بالقرود ذات الشعر كانت بالشكل الذي يتصوّرونه»[87].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. دوان جش): «في الواقع أن العديد من العيّنات في علم الحفريات الإنساني قد تم تعيينها كشبيه للإنسان على أساس عينات مكسّرة أوعن طرق سنّة واحدة أو أكثر، ومئات من العيّنات في علم الحفريات قد تم تصنيعها على أساس دليل من سنّة أوسنتّين وقطع مكسّرة»[88].

هذه هي منهجية الداروينيين قطع مكسّرة وبعض الأسنان وقطع عظمية من بقاع مختلفة يتم تركيبها لرسم أشكال انتقالية خادعة.

يقول عالم الحفريات الأمريكي (د. لايل واطسن): «القرود يبدوأنها انبثقت من لا مكان؛ فهي ليس لديها ماضٍ ولا سجل حفري، والأصل الحقيقي للبشر الحديث المنتصب وصانع الأدوات ذات الدماغ الكبير حالة سريّة وملغزة» [89].

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. كينيث بوب): «ليس هناك دعم علمي على الإطلاق لسيناريوالتطور من القرد إلى الإنسان»[90].

وتقول البيولوجية الأمريكية (د.آن جاوجر): «إن الحفريات

---

(87)Brad Harrub and Bert Thompson , Ibid .p3

(88)Gish , Ibid .p240

(89)Cited in Gish , Ibid .p224

(90)Kenneth Poppe , exposing Darwinism's weakest link , 2008.p16

لأشباه الأناسي القدماء تحتوي أساساً على قطع عظمية وهياكل مفككة المفاصل تم الحصول عليها من مواقع مختلفة حول العالم ومن مواقع جيولوجية مختلفة، وهي تقع في صنفين أساسيين حفريات قردة وحفريات بشر»[(91)].

ويقول الجيولوجي الأمريكي (د. كاسي ليوسكن): «الاعتقاد الداروني أن البشر تطوروا من أنواع شبيهة بالقرود يتطلب استدلالاً يقع وراء متناول الدليل العلمي وغير مدعوم من السجل الحفري» [(92)].

إن السجل الحفري لم يقدم الأشكال الانتقالية والوسائط التي تخيلها دارون بين القردة والشامبانزيات من جهة، وبين الإنسان من جهة أخرى، والحفريات التي تم اكتشافها هي إما حفريات لقردة، أو حفريات لبشر ولا غير.

أما مسألة الطفرات العشوائية التي رآها دارون أنها هي التي ولّدت الإنسان من كائنات أقدم، فمن المفارقة أن أحد أكبر البيولوجيين الداروينيين وهو البيولوجي الأمريكي (د.فرانسيسكوآيلا) يصف احتمالية أن البشر تطوروا من عضويات وحيدة الخلية أنها احتمالية

---

(91)Ann Gauger , Science of human origins , 2012.p7

(92)CasyLuskin , science of human origins,2012.p74

صغيرة بقدر (10) – 000, 1000 والتي تصل إلى الصفر[93].

وهناك علماء حددوا أنه من أجل نوع متطور مثل الإنسان ليظهر من أنـــواع بكتيريـــة في 10 مليـــار ســـنة؛ فالاحتماليـــة تعـــد (10)– 000, 24000، وهذه أيضاً نسبة غير متميّزة عن الصفر[94].

يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. هوف روس): «إن حسابات العلماء تبرهن على أن الاحتمالية بعيدة للغاية لوجود البشرية لوكانت الطبيعة لوحدها هي المسؤولة عن وجودهم»[95].

أما ما يروّجه الداروينييون في كتبهم بل وفي الكتب الدراسية في الأكاديميات من أن D.N.A للإنسان يتطابق مع D.N.A للشامبانزي بنسبة 98– 99٪ فهذه واحدة من أكبر التزييفات والخداعات التي يمارسها أتباع دارون؛ حيث دحضت الكشوفات العلمية هذا التشابه المزعوم تماماً.

يقول عالما التشريح والفسيولوجيا الأمريكيان (د. براد هارب) و(د.بيرت تمبسون): «إن الادعاءات بأن هناك تشابهاً حوالي قدره 98٪ بين الإنسان والشامبانزي ليس فقط خادعاً ومضللاً بل غير صحيح من الناحية العلمية، واليوم يجد العلماء فروقاً أكثر وأكثر

(93)See Hugh Ross , Ibid .p151

(94)Ibid .p152

(95) Ibid .p152

في D.N.A لكلٍ من البشر والشامبانزي»[96].

وقد برهنت الدراسات العلمية أن التشابهات بين D.N.A للبشر والشامبانزي هي فقط 86٪، وهذه النسبة مرجّحة بأن تتناقص مع تقدم البحث العلمي.

يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د.فيزال رانا):«إن الفروقات الوراثية المعروفة حديثاً بين البشر والشامبانزيات تعقّد الصورة للبيولوجيين الداروينيين الذين يرون أن درجة التشابه الوراثي بين الإنسان والشامبانزي تعد برهاناً على السلف المشترك؛ إلاّ أن التشابه أصبح 86٪»[97].

وإذا أصر الداروينيون على أن التشابه في D.N.A للبشر وللشامبانزيات التي تبلغ 86٪ ما زالت تؤكد على الإنسان والشامبانزي قد تحدّرا من سلف مشترك فماذا سيقول الداروينيون عندما يعرفون أن البحث العلمي قد برهن على أن التشابه في D.N.A للإنسان والفأر يساوي 80٪؟!

يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا): «أن المقارنات بين D.N.A للبشر والفئران تكشف عن سلسلة متشابهة

(96)Harrub and Thompson , Ibid .p99

(97)Fazale-Rana and Hugh Ross , who was Adam , 2005.p214-215

تساوي 80٪؛ فهل الإنسان والفأر قد تحدّرا من سلف مشترك؟»[98].

إن التشابهات بين المخلوقات في سلسلة D.N.A لم تعد دليلاً على فكرة التحدّر من سلف مشترك؛ لأن البحث العلمي قد برهن على أن الجينات تنخرط في علاقات معقدة وإطار شبكي لا خطي غاية في التداخل، ولم تعد الجينات لوحدها هي المهمة بل الطرق التي تعمل بها والتي تعد شديدة التعقيد والتخصص.

يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا): «بدأ الباحثون يحصلون على معرفة عن نماذج التعبير للجينات في البشر والقردة، ولقد برهنت الدراسات أن الفروقات التشريحية والفسيولوجية والسلوكية بين البشر والشامبانزيات والقردة تنتج من كيفية تعبير الجينات أكثر من اختلاف السلسلة لـ D.N.A، وفي معظم الحالات ليست الجينات هي الأساس بل الطريقة التي تؤدي بها وظائفها» [99].

لقد رأينا سابقاً أن التشابهات؛ سواءً في التصاميم الجسدية أوفي السلوكيات أوحتى الجينات تعكس الخلق والتصميم الذكي وليس الطفرات العشوائية؛ لأن الخالق والمصمم الذكي يستخدم أكثر الطرق فعّالية واقتصادية في خلقه..يقول أستاذ الفيزياء

(98)Ibid .p320

(99)Ibid .p223

الفلكيـة الأمريكـي (د. هـوف روس): «نمـوذج الخلـق يفسـر التشـابه بأنه الاستخدام النافذ من الخالق لقوالب مصممّة فعّالة»[100].

ويقـول أستاذ الكيميـاء الحيوية الأمريكـي (د. فيـزال رانـا): «إن العدد الكبير من الجينات المتشابهة الموجودة في المواد الوراثية للبشر والشـامبانزيات والفئـران والقـوارض.. وغيرهـا تعكـس فعّاليـة التصـميم الأنيقـة، فالخـالق يبدوأنـه يختـار مجموعـة مـن الجينـات التي يستخدمها ليركّب نطاقاً واسعاً من الكائنات الحيّة»[101].

ويقول أستاذ الرياضيات والمتخصص في نظرية المعلومات البيولوجية الأمريكـي (د.ويليـام ديمبسـكي): «إن أفعـال اللّه حـرة ولا يعمـل بالضرورة، والفعل الإلهي غير قابل للاختزال إلى سببية معينة»[102].

ويمكن توضيح فكرة المصمّم الذكي الذي يختار أن يخلق وفق تصاميم معينـة مـن نفس اللبنـات الأساسية عنـدما نـرى مهندسـي الحاسوب الذين ينتجون الحواسيب من نفس الـ Hard Ware الذي يمكن أن تتم برمجته مع Software لعدد هائل من الوظائف أواللغة البشرية التي يمكن للعقل والذكاء أن يؤلف منها عدداً لا نهائياً من الأفكار والمفاهيم.

---

(100)Ross , Ibid .p146

(101)Rana and Ross , Ibid .p225

(102)William Dembski , Intelligent Design , 1999 .p214

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه ينطق بهذه الحقيقة العلمية التي رأها العلماء اليوم في المخلوقات الحيّة؛ فيقول تعالى ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[القصص 68].

إنه الله تعالى الذي يخلق بحرية ما يشاء، ويختار وينتقى ما يريد من مخلوقات.

أما ما يفصل الإنسان عن الشامبانزي والقرود من مواهب وملكات فلا حصر لها ولا يمكن إعطاء الصورة الكاملة هنا؛ إلا أننا سنذكر بعضاً منها..

إن هناك القدرة اللغوية، والقدرة على خلق الرياضيات، واستكشاف قوانين الكون، وملكة الإبداع الفني، والوعي بالذات، والقراءة والكتابة وهي أساس إقامة الحضارات الإنسانية، وهناك الروح التي نفخها الله تعالى في الإنسان فأصبح ذلك الكائن الباحث عن القيم والأخلاقيات، والقادر على الاختيار بين الخطأ والصواب، والذي يفكر في معنى الكون والحياة وما بعد الحياة والقائمة لا تنتهي.

تقول البيولوجية الأمريكية (د. آن جاوجر): «إن قدرتنا على التفكير التجريدي والوعي بالذات والقدرة على التواصل يضعنا في صنف مختلف بالكامل؛ فهذه الصفات تعد أكثر تعقيداً ولا تمتلكها الحيوانات؛ فمثلاً اللغة تتطلب سمات تشريحية وغريزة غامضة من معرفة قواعد

النحـوالتي تبـدوأنها مبرمجـة في أسـلاك أدمغتنـا، إن الطفـل في عمـر الثلاث سنوات يعرف هذه القواعد بشكل غريزي أما القردة فلا، واللغة تتطلب القدرة على التفكير التجريدي؛ فالكلمات رموز تعبّر عن الأشياء والأفكار، ونحن نتواصل عن طريق تنظيم الكلمات إلى تعبيرات رمزية معقدة، ونحـن نفكـر في أفكـار جديـدة وننقـل أفكـار جديـدة للآخـرين، ونحن نفكر في أنفسنا، ونحـن نناقش أصـولنا ونكتب القصـائد ونصف عوالم خيالية والعالم الفعلي الذي نسكن فيه.. إن اللغة تعكس وتشرح قدراتنا على التفكير المجرد والإبداع»[103].

وتقول البيولوجية (د. آن جاوجر): «أن صفاتنا البشرية الفريدة تعد قفزة كميّة؛ بمعنى أنها قفزة لا يمكن أنها قد ظهرت بدون خالق»[104].

ويقـول الفيزيـائي الفلكـي الأمريكـي (د. هـوف روس): «الـدماغ البشري على خلاف أدمغة الشامبانزيات أوالأنواع الحيوانية الأخرى يمتلــك تركيبــات تصــون النشــاط الروحــي والتأمــل والتحليــل والرياضيات والمنطق ولغة متطورة، ونماذج التعبير للجينات المسؤولة عن هذه التركيبات تعد فريدة للبشر»[105].

ويعترف البيولوجي الأمريكي (د. ديفيد بريمـاك) وهـو مـن أكثـر

---

(103) Ann Gauger , Ibid .p27

(104) Ibid .p27

(105) Ross , Ibid .p156

الـداروينيين تعصبـاً بقولـه: «إن اللغـة البشـرية تعـد مربكـة لنظريـة التطـور؛ لأنهـا أكثـر قـوة ممّـا يمكـن أن يـتم تصـورها بمصـطلحات التطور الدارويني»[106].

أمـا عـالم اللغويـات وأسـتاذ الأعصـاب الدماغيـة الأمريكـي (د. نـاعوم تشومسـكي) فينطق بهـذه الحقيقـة الـتي تتطـابق مـع القـرآن الكريم حرفياً حيـث يقـول: «إن أصـل اللغـة مـدهش..إن هنـاك قفـزة فجائية هائلة للأمام..إن شيئاً ما حـدث في شـخص مـا بحيـث ذلـك الشخص نقل تلك القفزة لذرّيّته وفي زمن قصير جداً سيطرت علـى المجموعة»[107].

لا جدال أن ذلـك الشـخص الـذي يـذكره (د. نـاعوم تشومسـكي) هـو سيدنا آدم عليــه الســلام الـذي علّمـه اللّه تعـالى كـل الأسمـاء؛ فكانت هذه النقلة اللغوية الرائعة التي ميّزت الإنسان وفصلته تمامـاً عن باقي الأحياء.. يقول اللّه تعالـى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[البقرة 31].

ويقـول تعـالـى: ﴿**خَلَقَ الإنسان * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[الرحمن 3-4].

أما المقدرة الرياضية والعلمية فهي من معجزات الدماغ البشري، وقد برهنت الدراسات العلمية بأن الدماغ البشري مختلف من ناحية التعقيد والوظائف عن أدمغـة الشـامبانزيات والقـردة، بـل إن ملكـات

(106)Cited in Denton , evolution: A theory still in crisis , 2016 .p206

(107)Cited in Denton , Ibid .p203

الدماغ اللغوية والرياضية والحدسية والتأملية تضع الدماغ البشري كأعظم جهاز معالج للمعلومات، بل أعقد جهاز في هذا الكون.

يقول البيولوجي الأسترالي (د. مايكل دنتن): «إن الأدلة العلمية متفقة مع فكرة أن الدماغ البشري بالفعل يعد أكثر جهاز معالج للمعلومات تقدماً والذي يمكن بناؤه طبقاً للمبادئ البيولوجية..إن الدماغ البشري له حجم وتركيب يجعله أكثر الأدمغة ذكاءً والقادر على الفهم المعجز للكون»[108].

ويعترف البيولوجي وأستاذ العلوم العصبية الدماغية الأمريكي (د.تيرانس ديكن) بفرادة الدماغ البشري فيقول: «إن الفحص الأكثر دقة يبيّن أن إعادة هندسة جذرية لكل الدماغ البشري قد تمت وعلى نطاق غير مسبوق»[109].

وهذا دليل ساحق على أن الإنسان قد تم خلقه مباشرة وليس عبر تطور دارويني عشوائي سخيف.

وعن العلاقة بين الوعي البشري وبين هذا الكون والتي جعلت الإنسان يستكشف قوانين الكون بأدق تفاصيله فهي تعد من أعظم الألغاز، ولم يجد لها العلماء تفسيراً إلا بوجود الخالق والمصمم الذي جعل هذه العلاقة بهذا الترابط والحبكة.

---

(108)Denton Nature's Destiny , 1998 .p257

(109)Terrance Deacon , The symbolic species , 1997 .p45

يقول الفلكي والرياضي البريطاني (د. جون بارو): «إن تفكيرنا مصمّم للخلق والاستكشاف، فنحن نرى تشابكاً وعلاقة بين الحقيقة من حولنا والصور التي نخلقها في أذهاننا»(110).

ويؤكد الفيزيائي الأمريكي (د. سابهاش كاك) على أن هناك غريزة عقلية إنسانية لفهم هذا الكون؛ فيقول: «أننا قادرون على صنع فهم للعالم، وذلك لأننا مبرمجون بيولوجياً لفعل ذلك ولدينا قدرة فطرية لهذا الفهم»(111).

ويعترف البيولوجي والفيزيائي الأمريكي (د. جيرالد شرويدر) أن لا تفسير لقدرة الوعي البشري لفهم الكون إلا بوجود قوة تتجاوز المادة والمكان والزمان هي التي خلقت الإنسان؛ فيقول: «إن هناك تصميماً رائعاً في الدماغ جعله يفهم طبيعة الكون؛ الأمر الذي يعني أننا نحتاج إلى قوة ميتافيزيقية»(112).

وعن التطابق بين منطق الوعي البشري وبين قوانين الكون يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د. مايكل دنتن): «إن منطق عقولنا ومنطق الكون يبدوأنهما متطابقان بطريقة عميقة، وبسبب هذا التطابق أصبح من الممكن أن نفهم الكون»(113).

---

(110)John Barrow , pi in the sky , 1992 .p4

(111)Subhash-Kak , quantum physics of consciousness , 2011.p3

(112)Gerald Schroeder , The hidden face of god 2001.p99

(113)Denton , Ibid .p259

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا أن الله تعالى قد خلق الإنسان ليكتشف أسرار الكون بسبب التناغم بين الوعي البشري وبين قوانين الكون كما برهنه العلم الحديث، حيث يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[الروم 8].

لاحظ الرابط في الآية الكريمة بين الأمر في التفكير في ذات الإنسان وبين التفكير في خلق الكون، إنه التناغم والترابط بين منطق الوعي البشري وبين منطق هذا الكون بأسره، فأي إعجاز وأي علم؟!

وهناك الملكة العظيمة التي تم تجهيز الإنسان بها وهي ملكة القراءة والكتابة (التدوين)، وهما الملكتان اللتان جعلتا الإنسان يشيّد الحضارات عبر اكتساب المعلومات وتدوينها وتناقلها عبر الأجيال.

يقول البيولوجي الأمريكي (د. دوان جش): «دوناً عن كل المخلوقات على الأرض الإنسان فقط له القدرة على استخدام اللغة... بل له القدرة على التعبير عن أفكاره في كلٍّ من الشكل الكتابي واللفظي.. إن الإنسان مزوّد بجهاز صوتي يسمح له بلفظ العديد من الأصوات، والدماغ البشري الذي له 12 مليار خلية عصبية و120 تريليون من الشبكات العصبية هو التنظيم الأكثر تعقيداً في الكون؛ لهذا فتزويد الإنسان بالقدرة على التعبير عن نفسه بالشكل اللفظي والكتابي حقيقة خارقة»[114].

---

(114)Gish , Ibid .p312

ويعترف البيولوجي الأمريكي (د. كينيث بوب) بأن ملكة القراءة والكتابة قد اكتسبها الإنسان من ذكاء يقع خارج نطاق الكون وليس بالعمليات الداروينية الكسيحة؛ فيقول: «إنني أؤكد أن قدرتنا على التواصل من خلال الكلام واللغة المكتوبة قد اكتسبناها من ذكاء خارجي وليس عن طريق عمليات داروينية عشوائية»[115].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد أخبرنا بأن ملكة القراءة والكتابة تعد نعماً إلهية على الإنسان لخليفته على هذه الأرض حيث يقول تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق 1-5].

إن الله تعالى علّم الإنسان اللغة والقراءة والكتابة فتعلّم الإنسان ما لم يعلم بحيث قامت حضاراته عبر التاريخ.

وعن وجود الروح الإلهية في الإنسان والتي جعلته يتبوّأ هذه المكانة الرفيعة الباحثة عن القيّم والأخلاقيات والمعنى والغايات النبيلة؛ فالعلم الحديث قد برهن على وجودها علمياً.

يقول الطبيب وأستاذ علم الأعصاب الدماغية الحائز على جائزة نوبل عن أبحاثه على وظائف الدماغ البشري (د. جون أكسلس): «لايوجد شك أن كل إنسان يدرك فرادته، ولأن الأفكار المادية تفشل في تفسير خبراتنا الفريدة؛ فنحن مجبرون أن ننسب

---

(115) Poppe , Ibid .p169

فرادتنا النفسية والروحية إلى حادثة خلق خارقة للعادة»[116].

ويقول أيضاً (د. جون أكسلس): «إن أطروحتي تؤكد أننا مخلوقات من قبل مبدع خارق، إن فينا ما يسميه الدين بالروح»[117].

ويقول أستاذ الفيزياء الحيوية وأستاذ نظرية المعلومات الأمريكي (د.أرفن لاسلو): «إن الوعي البشري يُعد حقيقة روحية متجاوزة هي الموصوفة من الدين، وتعد جزءاً من بُعد غير ظاهر للكون»[118].

إن الواقع يبرهن على أن هناك صفات إنسانية مثل الأخلاق والوعي والقيم الجمالية لا يمكن تفسيرها بمصطلحات التنظيم المادي للدماغ، وبذلك فقد برهنت الدراسات العلمية على وجود طاقة وقوة مفارقة تتجاوز المكان والزمان، إنها تلك النفخة للروح الإلهية التي جعلت الطين المادي يشعر ويفكر.

يقول تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[ص 71- 72].

حقاً إن النظرية الداروينية تعد أكبر خرافة تتلّبس بلباس العلم عن طريق التضليل والخداع بسبب أجندتها الإلحادية التي قطعت الصلة بين الله تعالى والإنسان، لكن معاول العلم الحديث قد هدمت وحطمت أكذوبة الداروينية إلى الأبد.

---

(116)Cited in Harrub and Thompson , Ibid .p396

(117)Ibid .p45

(118)Ervin Laszlo , The immortal mind , 2014.p126

خلاصة عن نظرية دارون الزائفة

على الرغم من انهيار نظرية دارون على كل مستوياتها؛ إلا أننا نسمع بعض الطنطنة من بعض الداروينيين بأن نظرية دارون قد أسدت خدمات لعلوم الحياة ثمينة، والحقيقة أن هذه أكبر أكذوبة يروّجها أتباع دارون كمناورة فاشلة لا قيمة لها للحفاظ على هذه الأجندة الداروينية الإلحادية، ولندع أحد أكبر علماء الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية وهوالبيولوجي (د. فيليب سكيل) وهو عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم يشرح لنا أكذوبة أهمية الداروينية بالنسبة للبحوث العلمية البيولوجية عموماً.

يقول (د. فيليب سكيل): «إن هجومي على الداروينية قد أثار نقاشاً قوياً، لكن لم يقدم أي شخص رد على هجومي أي دليل على أن نظرية دارون تعد حجر الزاوية للبيولوجيا التجريبية، إن علم الفسيولوجيا وعلم الوراثة المُقارن يُعد مثمراً لكن علم الفسيولوجيا ولد قبل دارون ولا يدين هذا العلم بشي لدارون، وقبل نشر كتاب دارون أصل الأنواع عام 1859م ركزّ علم البيولوجيا المقارن أساساً على علم الشكل الظاهري؛ لأن علم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية كانا في البداية، وعلم الوراثة المقارن ظهر فيما بعد، لكن توسيع الاتجاه المقارن

لهذه الميادين اعتمد في تطورها على مناهج جديدة وأدوات جديدة وليس على النظرية الداروينية والانغمار في البيولوجيا التاريخية لدارون، إن علم الأدوية ومعرفة الأنزيمات والأجسام المضادة كلها علوم مثمرة لكنها لم تكن نتيجة تطبيق النظرية الداروينية، كذلك لا كليات الطب ولا الصيدلة استفادت من النظرية الداروينية.. إن التطور ليس خاصية قابلة للملاحظة للكائنات الحيّة، إن البيولوجيين التجريبيين يدرسون آليات استقرار الأحياء وليس تطورها...إن الكائنات الحيّة لوانحرفت كثيراً عن حالتها الأصلية تموت.. إن أبحاث علوم الحياة تبحث في آليات الاستقرار ولا توجد أبحاث موجهة بالنظرية الداروينية إذاً لنا أن نسأل: لماذا علينا أن نستحضر نظرية دارون؟!»[119].

هذا اعتراف من أحد أكبر علماء البيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية بأن نظرية دارون لا قيمة لها في تفسير أي شي أوفي توجيه الأبحاث المثمرة في علوم الحياة.

لقد اتضحت أساطير الداروينية بكل جلاء، وأخيراً نقول: أن علم الحياة (البيولوجيا) الذي بدأ مع دارون مادياً وميكانيكياً لاغياً أولية الخلق والوعي والتصميم الذكي للحياة والأحياء ومعتمداً على فكرة الاستمرارية والعشوائية والصراع والتنافس والانعزالية

(119)Cited in Thomas Woodward, Darwin Strikes Back , 2006.p180-181

والأنانيـة والإلحـاد وكـل هـذه الأطروحـات هـي ترجمـة للمشـروع الفلسفي لفيزياء نيوتن الكلاسيكية، عاد علم الحياة إلى الإيمان بأولية الخلق والوعي والتصميم الذكي، ومعتمداً على أن هناك تقطعية جوهرية في السجل الحفري، وأن هناك تعقيداً متخصصاً لا يمكن تفسيره بقوانين الفيزياء والكيمياء ، وشبكة متداخلة مترابطة سواءً على مستوى التكوينات الحيوية أو على مستوى سلوك الأحياء، وأصبح التعاون والتكافل هما أخلاق الطبيعة، وفي النهاية تم القضاء على الإلحاد وعاد الإيمان بالله تعالى الخالق والمصمم الأعظم للكون والحياة.. وهكذا دخل علم الحياة في مشروع الفيزياء الكميّة الحديثة التي تعد مصدر الإلهام الحالي للعلوم الحديثة بأسرها، وأصبحت نظرية التصميم الذكي هي المشروع الحديث الذي يفسر كل مفاصل علم البيولوجيا (علم الحياة).

سابعاً: علم النفس والباراسيكولوجي

(دراسة الظواهر النفسية والروحية)

Psychology and Parapsychology

(أ) علم النفس (Psychology)

تحـدّثنا أكثـر مـن مـرّة أنـه عنـدما تكـوّن الصـرح الفيزيـائي الكلاسيكي لإسحاق نيوتن ألقى بظلاله على كل المعارف الأخرى ومنها علم النفس، وكان من أهم نتائج تطبيق مقولات الفيزياء النيوتونية على علم النفس هوفقدان الإنسان للإرادة الحرّة والوعي المفارق للمادة وعدم قدرة الإنسان على السيطرة على غرائزه ورغباته وعدم وجود روابط خفية بين الناس وعدم قدرة الذهن على التأثير على المادة، وكل ما يحرّك الإنسان هوالمثيرات التي تُحدث استجابات ميكانيكية فقط .

ولأن قوانين الفيزياء لها تضمين شامل في الأشياء الحيّة وغير الحيّة؛ فقد تم الاعتقاد بأن كل العلوم بما فيها علم النفس قابلة للاختزال لقوانين الفيزياء والكيمياء.

يقـول البيولـوجي الأمريكـي (د. أي ميرسـر): «وجهـة النظـر السائدة أن البيولوجيا علم مشتق، بحيث يمكن استنتاج مبادئه من القوانين الأساسية للفيزياء والكيمياء»[1].

---

(1)Cited in George Stanciu and Robert Augros, The new biology, 1987.p6

وكان نموذج عالم النفس (سيجموند فرويد) قائماً على الميكانيكا النيوتونيـة؛ حيـث رأى فرويـد أن العمليـات الذهنيـة هـي بـالجوهر لا واعية [2].

ولأن اللاوعي يُعد قوة ميكانيكية لا يمكن السيطرة عليها؛ فيقـول فرويد: «إن الإنسان مخلوق ذوذكاء ضعيف ومسيطر عليـه مـن قبـل رغباته الغريزية» [3].

ويتضح النموذج الميكانيكي النيوتوني بجلاء عنـد فرويـد عنـدما يقـول: «إن قصـد دراسـتي هوتزويـدنا بعلـم نفـس طبيعـي هدفـه أن يُمثّل العمليات السلوكية بحالات محددة بشكل كمّي من جسيمات مادية» [4].

أمـا المدرسـة السـلوكية Behaviorism فقـد أرجعـت كـل السـلوك الإنساني إلى عوامل بيولوجية مكوّنة فقط من مثير واستجابة.

يقول عالم النفس (د. بي سكنر): «مـن أجل عمل تحليل علمـي للسلوك الإنساني أنا أعتقد أنه يجب افتراض أن السلوك الشخصـي للإنسان محكوم من قبل تاريخه الوراثي البيئوي أكثر منـه مـن قبـل الشخص نفسه كعامل خلّاق وفعّال» [5].

---

(2)Cited in Stanciu and Augros, Ibid.p8

(3)Cited in Stanciu and Augros, Ibid.p8

(4)Cited in Stanciu and Augros, Ibid.p37

(5)Cited in Stanciu and Augros, Ibid.p8

وهذا ما قاد (سكنر) إلى رفض الوعي وحرية الإرادة الإنسانية؛ فيقول: «الحياة الذهنية للإنسان هي تلفيقات تم اختراعها»[6].

ويقول (بي سكنر): «إن الإنسان ليس له إرادة حرّة»[7].

وبناءً على هذه الرؤية المادية والميكانيكية والاختزالية للنفس الإنسانية المستلهمة من فيزياء نيوتن أصبح العقل البشري مجرد جهاز ينفّذ وظائف فسيولوجية بناءً على النشاط الكهروكيميائي للدماغ بلا إرادة حرّة ولا قدرة على المبادرة ولا على اتخاذ القرار.

إذاً في ظل هذه الآراء ما هي قيمة المسؤولية الأخلاقية ؟ وكيف للإنسان أن يقرر مصيره ؟

بالطبع بناءً على أفكار فرويد وسكنر المستندة على الميكانيكا المادية؛ فإن الذي يقتل ويرتكب الجرائم وينتهك الأعراض ويفسد في الأرض لا يمكن محاسبته لأنه أسير الرغبات اللاواعية الآلية التي يستحيل له السيطرة عليها.

إلا أنه بمجيء فيزياء الكم (Quantum Physics) التي بيّنت محدودية تصورات الفيزياء النيوتونية، والتي برهنت على أولية الوعي وحرية الإرادة وتداخل وترابط الأحداث الكونية تغيّر نموذج

---

(6)Quoted in Stanciu and Augros, Ibid.p9

(7)Quoted in Bruce Rosenblum and Fred Kuttner, Quantum enigma, 2006.p37

علـم الـنفس تمامـاً، وتبـيّن أن الـوعي والإرادة الحـرّة همـا أسـاس التكوين النفسي للإنسان.

يقول أستاذا الفيزيـاء الحيوية الأمريكيـان (د. جـورج ستانسـيو) و(د.روبرت أجروس): «فيما يتعلق بالإنسان تتضمن الفيزياء الكميّة الجديـدة أن الـذهن والخيـار الحـر عناصـر جوهريـة؛ فهـي أسـباب فعّالـة بالنسـبة للفعـل الإنسـاني، ولا يمكـن تفسـير السـلوك الإنسـاني بقـوانين ماديـة فقـط، ولأن الإنسـان يقـوم بأفعـال لا تسـتطيع فعلـها المـادة وبالتحديـد الفهـم والإرادة؛ فعلـوم الإنسـان لا يمكـن أن تأخـذ مبادئها الأولية من الفيزياء والكيمياء»[8].

ويعتـرف الفيزيـائي الألمـاني الحـائز علـى نوبـل في الفيزيـاء (د. فيرنـر هـايزنبرغ) بقولـه: «لونـذهب إلـى البيولوجيـا ونضـمّن علـم النفس في النقاش فإن مفاهيم الفيزياء والكيميـاء كلـها مجتمعـة لـن تكون كافية لوصف الحقائق» [9].

ويسـتنتج أسـتاذ الكيميـاء الحيويـة (د. بـول ويـس) الحـائز علـى نوبـل أن الـوعي الإنسـاني لا يمكـن أن يُختـزل ببسـاطة إلـى مجمـوع الأنشطة في خلايا الدماغ؛ فالكل بالتأكيد أكبر من الأجزاء[10].

---

(8) Stanciu and Augros, Ibid.p15

(9) Cited in Stanciu and Augros, Ibid.p15

(10) See Menas Kafatos and Thalia Kafatos, looking in and seeing out, 1991.p169

ويؤكد الطبيب النفسي الأمريكي (د. جيفري شوارتز) على وجود الإرادة الحـرّة للإنسـان؛ فيقـول: «إن مـا نعرفـه عـن فيزيـاء الكـم يعطينا مبرراً للإيمـان بأن الأفكار الواعيـة والإرادة الحـرّة يمكنـهما أن يلعبا دوراً قوياً وسبيباً في التأثير على أنشطة الدماغ»[11].

ويقـول الطبيـب وعـالم النفس وأستاذ علـوم الأعصـاب الدماغيـة الأمريكي (د. جاري شوارتز): «لقد كان الوعي أولاً، ثم جاء الـدماغ حيث أصبح الدماغ أداة فيزيائية للوعي وليس العكس»[12].

ويعترف الطبيب النفسي الأمريكي (د. جيفري شوارتز) بقصـور العـلاج النفسـي حاليـاً الـذي يتجاهـل وجـود الإرادة الحـرّة والقـوة الواعيـة المـؤثرة عنـد الإنسـان، فيقـول: «إن العلاجـات المرتكـزة علـى مبـادئ السـلوكية رفضـت الحاجـة إلى إدراك واسـتغلال القـدرات الإنسانية الفريدة التي تُميّز الإنسان عن الحيوان»[13].

ويؤكـد الطبيبـان النفسـيان الأمريكيـان (د. جيفـري شـوارتز) و(د.ريبيكا جلادنغ) علـى حريـة الإرادة وقـوة الـوعي عنـد الإنسـان، وأن بيولوجيا الدماغ ليست قدراً حتمياً على مصير الإنسـان؛ فهنـاك توجد الإرادة الواعيـــة، وأن الإنســـان أكـــبر مـــن جيناتـــه الوراثيـــة يقـــول (د.شوارتز) و(د. جلادنغ): «البيولوجيا ليست قدراً؛ فالإنسـان يحتاج

(11)Jeffry Schwartz and Shron Begley, the mind and the brain, 2002.p19

(12)Gary Schwartz, The God experiments, 2006.p197

(13)Jeffry Schwartz, Ibid.p5

أن يؤمن أنه غير مُقدّر عليه أن يعيش حياة مقدّرة عليه سلفاً مستندة على الوراثة، إن لدى الإنسان القدرة على أن يتغلّب على المعوّقات التي ورثها، وأن يؤثر على الطرق التي يعمل بها دماغه وجسمه»(14).

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا بأن الإنسان لديه الوعي والإرادة الحرّة وهومسؤول عن تصرفاته، يقول تعالى: ﴿**بَلِ الإنسان عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ**﴾[القيامة 4-5].

وهذا ما برهنت عليه أبحاث الطب النفسي الحديث حرفياً.

ويعترف الطبيب وعالم النفس وأستاذ علوم الدماغ الأمريكي (د. جاي شوارتز) بهذا الاعتراف الرائع؛ فيقول: «إن استبعاد الله من العلم يعكس وجهة نظر سياسية وليست علمية، والحجم الهائل في البحوث عن الوعي لا بد أن تُرى بعيون جديدة»(15).

ومع كل ذلك فلا يزال الكثير من علماء النفس والأطباء النفسيين يرون الإنسان من منظور الميكانيكا المادية المستندة على فيزياء أصبحت محدودة وضيقة الأفق هي الفيزياء النيوتونية والديكارتية، ولم يدركوا الثورة العلمية الهائلة التي جاءت بها فيزياء الكم والتي ألقت بظلالها على بحوث علم النفس الحديث.

---

(14) Jeffry Schwartz and Rebecca Gladding, you are not your brain, 2012.p24

(15) Gary Schwartz, Ibid.p194

(ب) الباراسيكولوجي (Parapsychology)

دراسة الظواهر النفسية الروحية

ذكرنـا سـابقاً في دراسـتنا عـن علـم الفيزيـاء أن أحـد أعظـم الاكتشـافات الـتي أتـت بهـا فيزيـاء الكـم هـي اكتشـاف اللامحليـة Non-locality أوالترابطيـة الكونيـة؛ حيـث قـد برهنـت التجـارب أن الأجسـام الذريـة أوالفوتونـات الضـوئية تظل مترابطـة حتى لوكانـت علـى بعـد مليـارات السـنين الضـوئية، وهـذا الاكتشـاف المـثير عـن اللامحليـة والترابطيـة الكونيـة قـد دعـم صـحة الظـواهر النفسـية والروحيـة أوعلـم الباراسـيكولوجي وهـي ظـواهر تم تسـجيلها منـذ الأزمنة القديمة وعبر كل الثقافات.

وعلم الباراسيكولوجي يتضمن هذه المقولات:

1- التخاطر عن بعد: Telepathy: وهوالمعلومات المتبادلة بين عقلين أوأكثر بدون استخدام الحواس.

2- الجـلاء البصـري: Clairvoyance: وهوالمعلومـات المتسـلّمة مـن مسافة وراء متناول الحواس العادية، أي الرؤية عن بعد.

3- التفاعـل الـذهني مـع مـادة حيـة أوغـير حيـة Psychokinesis: وهوالمعلومات المتدفقة من الذهن إلى المادة، ويسمّى كذلك علم التحريك عن بعد Telekinesis.

4- الإدراك المّسـبق Precognition: وهوالمعلومـات المتسـلمة عـن أحداث مستقبلية لا يمكن الاستدلال عليها بالوسائل الحسية.

وهناك مقولات أخرى تدخل في علم الباراسيكولوجي ولكن الذي يهمنا هنا هوما برهنه العلم الحديث على صحة هذا العلم تجريبياً؛ فقد تمت دراسة هذه الظواهر بشكل تجريبي دقيق وتبيّن أنها ظواهر تخضع للتحقق العلمي وتتناغم تماماً مع ما كشفه العلم الحديث من أن الوعي البشري أصبح أشمل وأعمق من مجرد ظاهرة تحدث في دماغ الإنسان، بل غدا الوعي البشري متشابكاً مع الوعي الكوني الأعمق.

يقول الفيزيائي وأستاذ علم النفس والباراسيكولوجي الأمريكي (د. دين رادن) وهو من أكبر المتخصصين في هذا المجال: «الخبرات التي تسمى بالقوة النفسية والروحية تفرض وجود اتصالات متبادلة عميقة وخفية بين الناس من جهة وبين الناس والأجسام المادية من جهة أخرى، والوجه الأكثر إثارة لخبرات القوة النفسية والروحية هوأنها تبدوأنها تتجاوز الحدود العادية للمكان والزمان»[16].

ويؤكد (د. دين رادن) على أن علم الباراسيكولوجي أصبح علماً

(16)Dean Radin, The conscious universe, 1997.p13

تجريبيـــاً منظّمـــاً؛ فيقـــول: (إن الظـــواهر النفســـية والروحيـــة (الباراسـيكولوجي) موجـودة بسـبب منـاهج جديـدة لتقيـيم كمّيـات هائلة من الأدلة العلمية التي جمعها على مر القرن العشرين عدد كبير من الباحثين) [17].

ويقول أستاذ الفيزياء الحيوية والمتخصص في نظرية المعلومات الأمريكـي (د. أرفـن لاسـلو): «إن الترابطيـة بـين العقـول البشـرية تظهـــر اليـــوم في المعامـــل التجريبيـــة في بحـــوث علمـــاء الباراسيكولوجي» [18].

لقد برهنت فيزياء الكم على أولية الوعي، وأن أحداث الكون تعد نسيجاً شبكياً متداخلاً وأن هناك الوعي الكوني الأعمق الذي يهيمن على أحداث وقوانين الكون، وكذلك برهنت بأن الـوعي البشـري غير منفصل عن هذا الوعي الكوني.

يقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. ميناس كافاتوس): «إن فيزيـاء الكم الـتي برهنـت علـى الترابطيـة والكلّ غـير المنقسـم تقـود إلـى إثبـات وجود الإدراك الفردي غير المنفصل عـن الـوعي الكـوني ؛ بمعنـى توحّـد الوعي الفردي والوعي الكوني وأن الكون هو الكون الواعي» [19].

(17)Radin, Ibid.p2

(18)Ervin Laszlo, the connectivity hypothesis, 2003.p29

(19)Menas Kafatos, quantum physics of consciousness, 2012.p27

ويقـول الفيزيـائي وعـالم الـنفس وأسـتاذ علـم البارسـيكولوجيا الأمريكـي (د. ديـن رادن): «لقـد تم إثبـات فكـرة وجـود حقـل واعـي يفرض وجود متصل ذكي لا محلي يتخلل المكان والزمـان في الكون، وهذا يتناقض مع العلوم العصبية المستلهمة من منظور فيزياء نيوتن عن النسيج المُقفل للوعي داخل الجمجمة»[20].

ويقـول أسـتاذا علـم الـنفس الأمريكيـان (د. بـول بيرسـال) و(د.لايردوسـي): «إن الـذهن أكثـر مـن مـدهش، إنـه تعـبير عـن العمليات التنظيمية النهائية بمعنى أنه وعي كوني منظّم»[21].

ومـن إعجـاز القـرآن الكـريم أنـه يخبرنـا عـن ظـواهر الباراسيكولوجي الـتي تم البرهنـة عليهـا كليّاً في القـرنين العشـرين والحادي والعشرين منها، قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ**﴾[يوسف 94].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن النبي يعقوب عليه السلام الذي عرف ريح يوسف عليه السلام من مكان بعيد، وهـي إشـارة واضحة على الإدراك الخارق أوالجلاء البصري؛ أي المعلومات المتسلمة من مسافة بعيدة وراء متناول الحواس.

كذلك جاء في القرآن الكريم فرع من علم الباراسيكولوجي وهوعلم

(20)Radin, Ibid.p159

(21)Cited in Gary Schwartz, Ibid.p173

تحريك الأجسام عن بعد وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل 38–40].

وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن الحوار الذي دار بين النبي سليمان عليه السلام وبين عفريت من الجن ومن عنده علم الكتاب الذي أحضر عرش الملكة اليمنية من اليمن إلى فلسطين بسرعة خارقة.

وستظل عطاءات القرآن الكريم وإعجازه العظيم إلى أن تقوم الساعة.

والنتيجة أننا نرى كيف بدأ علم النفس بالمادية والميكانيكية وإنكار وجود الوعي والإرادة الحرّة ورفض الترابط الخفي بين الناس، وهوالنموذج الذي اقتبسه علم النفس من فيزياء نيوتن، وتحول إلى نموذج الفيزياء الكميّة الذي برهن على أولية الوعي ووجود الإرادة الحرّة والروح والترابطية بين عقول البشر واندماج الوعي الإنساني مع الوعي الكوني الأعمق والقوة الهائلة للذهن للتأثير على المادة، وهكذا تتجلى اللوحة الكونية المتناغمة في كل ميادين العلوم بأوضح ما يكون، وصدق الله العظيم في محكم تنزيله حيث يقول تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[الملك 3].

ثامناً : علم الطب

Medicine

تاريخ علم الطب كان متلازماً مع تطور علم الحياة؛ لذلك من الطبيعي أن الرؤية الميكانيكية والاختزالية عندما ترسّخت في علوم الحياة سيطرت على مواقف الأطباء تجاه الصحة والمرض ، والتأثير للنموذج الإرشادي لديكارت الذي رأى أن الحياة ماكينة رسّخ نموذجاً إرشادياً للطب يعد ميكانيكياً ومادياً ؛ فبالنسبة لديكارت الشخص صاحب الصحة مثل الساعة يعد في حالة ميكانيكية مثالية والمريض مثل الساعة التي لا تعمل أجزاؤها بشكل مناسب، وإلى الآن نموذج الطب الحديث يتّبع هذه الصورة الديكارتية.

وباتّباع هذا الاتجاه حصر علم الطب نفسه في محاولة فهم الآليات البيولوجية للآلام ودراستها من خلال البيولوجيا الجزيئية الخلوية تاركاً كل الظروف الأخرى؛ سواءً أكانت نفسية أوروحيّة أوبيئوية أووراثية أوغذائية خارج الشبكة التي تؤثر على الصحة.

والمشكلة هي دائماً في عدم الالتفات إلى أصل المرض والاهتمام فقط بالأعراض، فبدلاً من السؤال عن لماذا يحدث المرض ومحاولة التخلص من الحالات التي قادت إليه ورؤية المريض كإنسان شامل التكوين يركز الأطباء على أقسام أصغر وأصغر وهنا الكارثة.

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الحيوي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «الطب الحديث غالباً ما

يعجـز عـن أن يـرى الكـائن البشـري ككـلّ ويختـزل الصـحة إلى الوظائف الميكانيكية، وبذلك لا يكون قـادراً علـى التعامـل مـع ظـاهرة العلاج، إن الإدراك المتنـامي لـلإرادة الشخصية والمسؤولية للأفـراد في الحفـاظ علـى أنفسـهم في صـحة جيـدة قـد عبّـر عـن نفسـه في الاهتمـام المتزايد بالتغذيـة الصـحيّة والرياضـة الجسـمية والروحيّـة، بالإضافة إلى تزايد الشعبية لنطاق واسع من العلاجات البديلة»[1].

ونظراً للرؤية الحديثة للعلم التي ترى أن الكون والحياة والإنسان شـبكة مترابطـة يتعـذر فصـلها، فقـد تنـامى اتجـاه الرؤيـة الكلّيـة للإنسـان وتوسّـع المشـهد لرؤيـة الصـحة الإنسـانية كشـبكة متداخلـة لعوامل عديدة.

يقول (د. كابرا) و(د. ليوسي): «الاتجاه المتكامـل أوالكلّـي للطـب يوسّع المشهد من مستويات الأعضـاء والخلايـا إلـى الشـخص بأكملـه؛ أي إلـى عقل وجسم المريض، بالإضافة إلـى تفاعل المريض مع البيئـة الاجتماعيـة والطبيعيـة، ومثـل هـذا المنظـور السـياقي والكلّـي سـوف يمكّن الأطباء من الفهم الأفضل لظاهرة العلاج»[2].

والذي زاد من تدعيم الرؤية الكلّية للصحة والمرض هوالفشـل في مهمة رؤية المرض على مستوى الجينات (Genes)؛ فمن المعـروف أنـه

(1)Fritjof Capra and Luigi Luisi , the systems view of life , 2014. P 43

(2)Ibid.p323

مع تطور الهندسة الوراثية وعندما تطورت تقنيات تسلسل D.N.A وكذلك دراسة انقسام الجين في سبعينيات القرن العشرين تحّول علماء الوراثة إلى التطبيقات الطبية للهندسة الوراثية؛ فقد كان يُعتقد أن الجينات (Genes) هي التي تحدد الوظائف البيولوجية، وبالتالي كان من الطبيعي أن يتحول الأطباء إلى مهمة تعيين الجينات التي تسبب أمراضاً معينة؛ إلا أن العلماء اكتشفوا مدى التعقيد المذهل في طبيعة الجينات وأنها ليست سلاسل خطية ذات حتمية وراثية، بل هناك شبكات وراثية وما فوق وراثية تعمل بالتوازي، وهذا ما جعل البحث عن الجينات المسبّبة للأمراض غاية في الصعوبة.

يقول البيولوجي الجزيئي الأمريكي (د. ريتشارد تروهمان): «في حالة مرض الشريان التاجي هناك أكثر من 100 جين تم تحديده وكلّها لها إسهام تفاعلي، وهكذا من السذاجة الاعتقاد أنه يمكن إهمال الشبكة اللاخطية والمعقدة للشبكات الجينية والوراثية من التحليل التشخيصي»[3].

ومن هنا جاءت الرؤية السياقية والكلّية الحديثة التي تعرّف الصحة بأنها « حالة كينونة ما تنتج عن توازن ديناميكي يتضمن

(3)cited in Capra and Luisi .Ibid. p324

الأوجه الفيزيائية والنفسية للكائن الحي، بالإضافة إلى تفاعلاته مع بيئته الطبيعية والاجتماعية»[4].

يقول (د. كابرا) و(د. ليوسي): «الباحثون الإكلينيكيون أصبحوا مدركين بشكل متزايد أن كل الأمراض تعد سيكوسماتية (أي نفسية جسمية)؛ بحيث أنها تتضمن تداخلاً مستمراً للذهن والجسم في أصلها وتطورها وعلاجها»[5].

بل إن الرؤية الكلّية والشاملة للطب ترى أن صحة كوكب الأرض بأسره لها علاقة وثيقة بصحة الأفراد الساكنين في هذا الكوكب.

يقول (د. كابرا) و(د. ليوسي): «ليس هناك من طريق لتجنب الاستنتاج أن الاقتصاد العالمي أصبح في حد ذاته له تهديد أساسي على صحتنا، كذلك من الواضح أن الصحة الاجتماعية والبيئوية وصحة كوكبنا أصبحت مندمجة بشكل متداخل لاينفصل»[6].

أما القرآن الكريم فقد سبق هذه الرؤية الكليّة والشاملة لصحة الإنسان، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من مادة وروح؛ فقد أعطى في قرآنه التوجيهات والإرشادات لصيانة المادة والروح، وبذلك أقام التوازن بين المكونين لحفظ الإنسان في صحة

(4) Ibid. p328

(5) Ibid. p328

(6) Ibid. p337

كاملة تجعله مؤهلاً ليمارس مهمة الخلافة على الأرض.

والقرآن الكريم يأمر الإنسان بالنظر في دقة خلق وتصميم الإنسان حتى يعرف أهمية وجوده ومهمته، والعلم الحديث قد كشف الكثير عن دقة التصميم في خلق الإنسان من الناحية الفيزيائية؛ فالكثير من مكونات جسمنا الداخلي توصف بمصطلحات رياضية دقيقة؛ فهناك ضغط الدم والنبض والحرارة وكلها لها نسب رياضية دقيقة؛ ونحن نأكل ونشرب ونحرق الغذاء ونعرق ونتخلص من الفضلات، كذلك النبضات العصبية تسافر بطول المحاور العصبية بسرعة محددة والدم له لزوجة خاصة والجهاز الهيكلي مصمّم لدعم كمية معينة من الوزن، وهناك إيقاع قابل للتنبؤ به؛ حيث هناك ساعة بيولوجية في خلايا جسم الإنسان، والجسم يحتوي على 10- 75 تريليون خلية تعمل باستمرار للحفاظ على صحتنا، هناك 35 مليارخلية عصبية تساعدنا على التفكير والتوازن والسماع وغيرها من آلاف الوظائف، وهناك قلب الإنسان الذي يدق 3 مليار مرة تقريباً في متوسط حياة زمن الإنسان ويضخ ما يقارب50 مليون جالون من الدم إلى أماكن محددة بطرق خاصة، والرئات الإنسانية تتنفس 8 مليون مرة أثناء متوسط حياة الإنسان، والكلى الإنسانية تنظف حوالي 13 مليون جالون من الدم، والقناة الهضمية تعالج 25 طن من الطعام [7].

(7) Adapted from Jeoffrey Simmons , Billions of missing links , 2007. P138

والأغلبيـة العظمـى مـن الوظـائف الفسـيولوجية أنظمـة ذاتيـة التنظيم حيث الجسم الإنساني يسجل باستمرار تركيز الأكسجين ومستويات ثاني أكسيد الكربون وضغط الدم ومعدل ضربات القلب وغيرها، وكذلك أصبح من الواضح أن كل كائن حي يُعد مشحوناً كهربياً؛ فهناك تريليونات من النبضات الكهربية في الخلايا العصبية تخبر الدماغ بما يحتاجه ليعرف عن البيئة ثم يرد بالرد المناسب للجسم بأسره، والنبضات الكهربية تساعد على تنظيم كل خلية و كل بروتين في الجسم الإنساني، وكل خلية مثل البطارية الصغيرة لها العديد من المولّدات تسمى (الميتوكوندريا) التي تعد مولدات للطاقة [8].

هذا فقط بعض من التصميم المذهل الذي في جسم الإنسان الذي لايمكن تفسيره إلا بوجود القوة الخلاّقة الحكيمة التي خلقت وصممت هذا الإنسان بهذا التجهيز المذهل للعقل.

يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. جيفري سمنس): «كل وظيفة حيّة تعتمد على وظيفة أخرى؛ أي أنها وظائف معقدة متداخلة، ومن غير المعقول أنها قد حدثت بصدفة غير موجهة» [9].

والقرآن الكريم يوجه الأنظار والأفكار لهذا الخلق والتصميم الإلهي في الإنسان فيقول تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[الذاريات21].

---

(8) Ibid. p141

(9) Ibid. p137

وللحفاظ على هذا التصميم الإلهي لجسم الإنسان فقد ورد في القرآن الكريم الكثير والكثير جداً من التوجيهات العظيمة للحفاظ على هذا الجسم في صحة جيدة.

نذكر بعضاً منها:

يقول تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[الأعراف 157] وهنا إرشاد إلهي عام بتحريم كل خبيث يضر بصحة الإنسان، ويقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف 31].

وهنا في الآية الكريمة واحدة من قمم التوجيهات الطبية الوقائية فمن المعروف؛ أن أحد أكبر المشكلات الصحيّة هي السمنة التي تجر معها العديد من الأمراض مثل السكري وضغط الدم وأمراض تصلّب الشرايين، والقائمة كبيرة للأمراض الناتجة عن الإسراف في الطعام.

والقرآن الكريم لا يوجه فقط إلى الوقاية من الأمراض، بل يذكر العديد من الوصفات العلاجية التي برهن العلم الحديث على نجاحها الساحق في علاج العديد من الأمراض.

مثلاً: يذكر القرآن العسل وأهميته في شفاء العديد من الأمراض، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۞ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل 68- 69].

ولقـد كشـف العلـم الحـديث العديـد مـن الفوائـد المذهلـة للعسـل؛ منها تقوية جهاز المناعة ومعالجة اضطرابات الجهاز الهضمي، بل ويحتوي على مضادات حيوية طبيعية، ويُستخدم العسل في علاج الحروق، ويعد أيضاً من أقوى مضادات الأكسدة، والقائمة لفوائد العسل هائلة.

يقول الطبيب الأمريكي (د. جيفري سمنس): «إن العسل يحتوي على مضادات حيوية وإنزيمات تحمي خلية النحل وتحمينا أيضاً»[10].

ويذكر القرآن الكريم أيضاً الزيتون وأهميته الوقائية العظيمة؛ حيث يقول تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**﴾[المؤمنون 20].

والشجرة هنا بإجماع المفسرين هي شجرة الزيتون، ولقد برهن العلم الحديث على فوائد رائعة لزيت الزيتون، منها حماية القلب والشرايين؛ لأنه يخفض نسبة الكوليسترول، ويعتبر زيت الزيتون من أقوى المضادات لنموالخلايا السرطانية ومضاداً قوياً للأكسدة وهناك الكثير من الفوائد لزيت الزيتون كشف عنها العلم الحديث.

أما في العبادات فقد شرع الله تعالى (الصيام) كما قال تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة 184].

(10)Ibid. p128

وفوائد الصيام هائلة منها التخلص من السموم وحرق الدهون وخفض مستويات السكر في الدم، ويعمل على إراحة الجهاز الهضمي.. وغيرها من الفوائد العظيمة.

هذا جانب بسيط من اهتمام القرآن بصحة الإنسان من الناحيّة المادية، أما الجانب الروحي والنفسي فقد اهتم القرآن بهذا الجانب اهتماماً بالغاً ؛ فهناك عبادة (الصلاة) وهي أهم العبادات قاطبة؛ لأنها الصلة بين العبد وربه حيث يقف الإنسان أمام خالقه خمس مرات في اليوم خاشعاً متأملاً يدعوالله تعالى بالرحمة والمغفرة، وهذا يعزز الجانب الروحي وإحساس العبد بهذه القوة التي ترعاه وتستجيب له فلا يتسرب اليأس والقنوط إلى روحه ونفسه؛ حيث يقول تعالى: **﴿وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دعانِ﴾**[البقرة 186].

إنها العلاقة المباشرة بين الله تعالى وبين عبده بدون وسيط والتي تتمثل في استجابة خالق الكون لحوائج عباده.

ومن العجيب أن العلم الحديث قد برهن على أن الصلاة إذا أُحسن أدائها بأركانها المطلوبة وأهمها الخشوع والسكينة والتأمل فلها مردود صحي هائل جداً.

يقول عالم النفس وأستاذ علم الباراسيكولوجيا الأمريكي (د. دين رادن): «الفوائد المرسّخة من التأمل والصلوات تشمل تطوراً في وظيفة

المناعـة وتخفـيض ضـغط الـدم وعـلاج أمـراض القلـب وتبطئـة تطـور سرطان المثانة وتطوير التركيز والذاكرة، والتأمل الهادئ أيضاً له نتائج إيجابية في تبطئة الشيخوخة وتقليل القلق وتقليل عدم الخصوبة وعلاج أمراض الجلد العنيدة»(11).

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون 1_2].

وهنا تقصد الآية الكريمة الخشوع العميق المتأمل والهادئ وليس مجـرد الأداء الميكـانيكي المفـرّغ مـن الـروح كمـا نـراه اليـوم، ولقـد برهنت الدراسات النفسية أن الحيـاة الأخلاقيـة والروحيّـة والإيمـان بـالله تعـالى لهـا أكـبر الأثـر في توجيـه الإنسـان في الحيـاة التوجيـه السليم والمنتج.

يقـول الطبيـب النفسـي الأمريكـي والباحـث في التأمـل (د. روجـر والـش): «هنـاك سـبع ممارسـات تُعتـبر بشـكل واسـع شـيئاً مركزيـاً وجوهريـاً لتطـوير شـخص فعّـال وهـي الممارسـة الأخلاقيـة وإعـادة توجيـه الـدافع وترويض العواطـف وتـدريب الانتبـاه وتنقـيح الإدراك وتربية الحكمة وممارسة الخدمة للآخرين»(12).

وكل ما ذكره (د. والش) هو من صميم توجيهات القرآن الكريم، ويكفـي أن نـذكر مـا وصـف بـه الله تعـالى قرآنـه الكـريم وتوجيهاتـه

(11)Dean Radin , Supernormal , 2013 . p22

(12)cited in Radin , Ibid . p37

وتشـريعاته، حيـث يقـول تعـالـى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى 52].

إنه كتاب الروح الذي يجعل الإنسان بشقيه المادي والروحي في أعلى القمم في كل شيء، بل إن العلم الحديث قد برهن على أن الشخصية المؤمنة بالغيب والمتدينة تعد أكثر تناغماً مع الحياة والكون، وأكثر قدرة على العطاء للآخرين وأكثر إيجابية.

يقول عالم النفس وأستاذ الباراسيكولوجيا الأمريكي (د. دين رادن): «العقول الصحيّة تتوق للمعنى وللغرض بقدر ما يحتاج الجسم إلى الطعام، والإيمان بالغيبيات يقدم الغرضية لشيء ما أكبر من الذات وشيء يستحق أن يعاش من أجله»[13].

يقول تعالى عن صفة المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة 3].

إن الإيمان بالغيب هوالعتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوانات فيدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيّز الصغير، بل إن الإيمان باليوم الآخر يعلّق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر فلا تستبد بهم الضرورات الأرضية ولا يستبد بهم القلق والجزع واليأس.

إن الغربيين عندما قطعوا صلتهم بالإيمان بالله تعالى وبعالم الروح

(13)Radin , Ibid. p 47

أصبحوا يعانون من هذا الانكسار الروحي والأخلاقي الفظيع.

يقـول أسـتاذ علـم الـنفس والباراسـيكولوجيا (د. ديـن رادن): «الذات الغربية منعزلة ومنفصلة وكلهم وحيدون في كون ميّت خالٍ مـن المعـنى والـوعي، وعلمـاء الـنفس الاجتمـاعيون قـد وجـدوا أن التمسك بوجهة نظر كئيبة تقود إلى التقليل من السلوكيات النافعة مثـل التعـاون والتعـاطف، بالمقابـل المتـدينون الـذين سـجّلوا خـبرات دينيـة ونفسـية يكشـفون عـن قـدرات متزايـدة بشـكل كـبير للتـراحم والعاطفة المتطورة بشكل هائل»[14].

يقـول تعـالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[الحجرات 10]، بل إن الدراسات العلميـة برهنـت علـى أن الإيمـان بـالله تعـالى وبالحيـاة الروحيّـة والأخلاقيـة تعطـي الجسـم شـحنة مناعيـة ومقاومـة حـتى لأفتـك الأمراض مثل مرض الإيدز AIDS (مرض فقدان المناعة) وأمـراض السرطان القاتلة.

يقول الفيزيـائي الحيـوي الأمريكـي (د. مايكل تـالبوت): «النـاس الذين يعانون من الإيدز والذين لهم حياة روحيّة يعيشـون أطـول مـن المرضى الذين لهم موقف سلبي، وكذلك النـاس الـذين يعـانون مـن السـرطان»[15].

---

(14) Ibid . p 5

(15) Michael Talbot . the holographic universe, 1991. P102

إن شحنة الإيمان بالله تعالى تعطي تلك الطاقة النفسية والروحيّة التي تجعل الإنسان يقاوم كل مصائب الدنيا؛ فلا يأس ولا قنوط كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[يوسف 87].

بعكس الملحد الذي قطع صلته بهذه الطاقة الروحيّة فهويائس قانط من رحمة الله تعالى فيصبح لقمة سائغة لأي مرض عضوي أونفسي، وبالتالي الانهيار في كل شي هوالنتيجة الحتمية.

وبمناسبة الحديث عن الإيدز (AIDS) وهومرض فقدان المناعة، فكما هومعروف أن سببه الرئيس الاتصالات الجنسية غير الشرعية التي دمرت المجتمعات الغربية وفتكت بالملايين من الناس.

يقول الفيلسوف العلمي الأمريكي (د. هانك هانجراف): «إن الزنا أصبح شائعاً وعادياً بالنسبة للغربيين وبالتالي فليس من المدهش أن نصف المتزوجين تقريباً ينتهون إلى الطلاق، والإجهاض أصبح عدوى ملوثة كوسيلة للقفز على الأخلاق، وفي أمريكا لوحدها قتل الأطفال قبل أن يولدوا تجاوز 43 مليون طفل، أما الإيدز (AIDS) فقد أصبح وباءً منتشراً، ولقد مات أناس من الإيدز خلال كل العالم أكثر ممّا فقدت أمريكا في كل حروبها مجتمعة»(16).

هذا اعتراف أحد أكبر فلاسفة العلم في الولايات المتحدة

(16)Hank Hanegraff , Fatal flaws , 2003.P8

الأمريكية، والقرآن الكريم -كتاب الله تعالى- قد حذّر من الزنا، بل والاقتراب منه قبل أكثر من 1400 عام؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[الاسراء 32].

توجيه إلهي بتحريم جريمة من أكبر الجرائم التي تمس صحة الإنسان كفرد وبصحة المجتمع ككل وهي الزنا؛ فما أعظم القرآن وتشريعاته العظيمة التي كلما مر الزمن تبين إعجازها ومطابقتها للفطرة الإنسانية بكل مكوناتها، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك14].

والرؤية القرآنية لصحة الإنسان لا تكتفي بعلاج صحة الإنسان المادية والروحيّة، بل اهتم القرآن بصحة البيئة لأنها تنعكس على صحة الإنسان؛ وبهذا يسبق القرآن الرؤية العلمية الكلّية الحالية.

إن البشرية اليوم تدفع أثماناً باهظة صحيّة ونفسية بسبب تلوث الأرض والاحتباس الحراري وخراب البيئة وفساد الأطعمة.. وغيرها من قائمة الخراب البيئوي لكوكب الأرض، ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد حذّر البشرية بعدم المساس بصحة الأرض وتوازناتها البيولوجية التي تحفظ صحة الإنسان؛ فيقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف 56].

وعندما خالف الإنسان هذا التوجيه الإلهي القرآني وأفسد في الأرض جاءت النتيجة التي نعاني منها جميعاً وهي ذات النتيجة التي تنبأت بها معجزة القرآن قبل أكثر من 1400 عام.

يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم 41].

فهل سيعود الإنسان إلى شريعة الله الكونية ؟!

وللأسف لم نستطع في هذه الدراسة الموجزة أن نذكر العديد من التوجيهات والتشريعات القرآنية والتي سبقت النظرة الشمولية والكلّية للطب الحديث التي ترى بأن صحة الإنسان تعد شبكة متداخلة من العوامل الفيزيائية والروحيّة والاجتماعية والبيئوية.

إن الإنسان قد خلقه الله تعالى وفق تصميم مادي ونفسي وروحي معين، ومخالفة هذا التصميم والتقييد يفسد تكوينه المتكامل ، وهذه نقطة غاية في الأهمية بالنسبة لرؤية العلم الحديث الذي برهن على الخلق والتصميم للكون والحياة والإنسان، وقد انتبه لهذه النقطة الجوهرية أستاذ الرياضيات ونظرية المعلومات البيولوجية الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي) الذي يقول: «إن التصميم يتضمن التقييدات، وانتهاك هذه التقييدات يفسد كل شي، وهذه البصيرة لها تضمينات هائلة ليس للعلم بل أيضاً للأخلاق، فلأن البشر مصمّمون فنحن نتوقع وجود تقييدات اجتماعية ونفسية متضمنة داخلنا، وانتهاك هذه التقييدات ستجعلنا نعاني منها كأشخاص وكمجتمع»[17].

وهذا ما نطق به القرآن الكريم حيث يقول تعالى:

(17)William Dembski , Intelligent Design ,1999. P151

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم 30].

ولن يكتمل حديثنا عن الصحة الإنسانية المادية والروحيّة إلا بالحديث عن جانب مهم وهو الأدوية؛ فلقد احتوت الأرض على النباتات والأعشاب والكائنات التي اشتق منها العلماء الكم الهائل من الأدوية التي تخفف الآلام؛ فمثلا المضادات الحيوية بأنواعها مصّنعة من فطريات، وبعد أن اكتشف (د. فلمنج) البنسلين تعلّم باحثون آخرون كيف ينتجون هذه المضادات الحيوية.

يقول الطبيب والبيولوجي الأمريكي (د. جيفري سمنس): «تقريبا كل المضادات الحيوية ومعظم أدوية القلب وقاتلات الألم ومضادات الالتهابات ومضادات التجلطات وأدوية السرطان مستخلصة من مركبات طبيعية أو معدّلة من مشتقات طبيعية»[18].

وهناك مثلا الأسبرين Aspirin الذي يحمي القلب من الجلطات يأتي من شجرة الصفصاف، وهناك النباتات القمعية التي تعد علاجاً شعبياً لأمراض القلب، وهناك الكوانين علاج الملاريا الذي يأتي من أشجار الكينا، وهناك دودة العلق التي تستخدم في الجراحة للسيطرة على الانتفاخ والتجلطات غير المرغوبة، وسم النحل الذي يحتوي على مواد كيميائية تقلل من التهابات المفاصل،

(18) Simmons , Ibid. p127

والنمل الذي له مضاد حيوي في لعابه يرشه على ذرتيه[19]، ويرى الباحثون أنه يمكن الاستفادة منه لصالح الإنسان كمضاد حيوي للعديد من الأمراض.

يقول الطبيب الأمريكي (د. جيفري سمنس): «القائمة للأدوية المشتقة من الطبيعة هائلة وتتنامى، ويقدّر العلماء أن هناك حوالي من 125000 إلى 750000 من الأدوية التي تنتظر الاكتشاف»[20].

والسؤال المطروح: لماذا تحتوي الأرض على كل هذه الإمكانيات النباتية والحيوانية المسخرة للإنسان ليحولها إلى أدوية تخفف وتعالج الآلام ؟!

هل الصدفة والعشوائية تفسير معقول لهذا التسخير العجيب ؟!

يقول الطبيب وأستاذ علم الفسيولوجيا الأمريكي (د. مارك بولتكن): «ربما أهم عامل حاسم يوجه البحث عن أدوية جديدة في الطبيعة هوالإدراك المتزايد للتنوع غير المعقول للإمكانيات العلاجية التي تزخر بها أمّنا الطبيعة»[21].

ويتساءل الطبيب والبيولوجي الأمريكي (د. جيفري سمنس) هذه الأسئلة العميقة؛ فيقول: «لماذا هناك الكثير من المواد المفيدة

(19)Ibid. p131

(20)Ibid. p129

(21)Cited in Simmons, Ibid. p 127

والمنقذة للحياة ضمن متناولنا في الأرض ؟

لوالأرض مجرد مجموعة ضخمة من الغبار تجمعت بالصدفة بعد الانفجار العظيم؛ فكيف حصلت على كل هذه المنتجات المفيدة ؟!»[22].

إن الجواب يكمن في أن الله تعالى الذي خلق الأرض وسخرها لخدمة الإنسان لم يضمن للخليفة (الإنسان) القوت بل العلاج والدواء، وما على الإنسان إلا الاجتهاد والعمل والتفكير لإخراج كل هذه الكنوز والمنافع.

يقول تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الجاثية 13].

لقد قال الفيزيائي الرائع (د. ألبرت إينشتين): «كيف لا نكون مبهورين عندما نتأمل ألغاز الحياة والتركيب الرائع للحقيقة»[23].

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله ﴿**إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[طه 98].

وهكذا نرى أن علم الطب الذي بدأ ميكانيكياً مادياً يرى الإنسان أجزاء مفككة، أصبحت الرؤية الحديثة للطب ترى الإنسان وحدة متكاملة مترابطة تتكون من المادة والروح، وصحته متلازمة

(22) Ibid.p133

(23) Ibid. p11

مع صحة هذين العنصرين بل مترابطة مع صحة الكوكب بأسره وهكذا يندمج علم الطب مع العلم الحديث ذي الرؤية الكلّية والمتشابكة والتي سبق إليها القرآن الكريم قبل 1400 عام.

تاسعاً : علم الاجتماع

Sociology

النمـوذج الميكـانيكي لـديكارت ونيـوتن (الفيزيـاء الكلاسـيكية) المعتمـد علـى قـوانين ماديـة وحتميـة والـذي لا يعتـرف بأوليـة الـوعي وحريـة الإرادة ولا بـالترابط والتـداخل أصـبح النمـوذج الإرشـادي كذلك لدراسة المجتمعات البشرية، وتم خلق فرع جديد للعلم تمت تسميته (العلم الاجتماعي)، بل إن البعض قد زعم أنه قد اكتشف (الفيزياء الاجتماعية).

إن أفكار نيوتن عن الميكانيكية والاختزالية كنموذج إرشادي قد انتشرت في القرن الثامن عشر، وتمت تسمية الفترة بأسرها (عصر التنـوير)، وكـان الرمـز المهـيمن هوالفيلسـوف (جـون لـوك) وباتبـاع الفيزياء النيوتونية طور (جون لوك) رؤية ذرية للمجتمع؛ فكما أن الفيزيائيين قد اختزلوا ظواهر الأشياء إلى ذرّات، حاول (لوك) أن يختزل الظواهر الملاحظة في المجتمع إلى سلوك الأفراد[1].

ولقد كان الفكر الاجتماعي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القـرن العشـرين متـأثراً بعقيـدة (الوضـعية المنطقيـة) الـتي أسسـها الفيلسـوف الاجتمـاعي (أوجسـت كومـت) (1798م – 1857م)، وهـي فلسفة مادية صرفة تؤمن بأن العلوم الاجتماعية لابد أن تبحث عن القوانين العامة للسلوك الإنساني، وتؤكد على استخدام اللغة الكميّة

(1)Fritjof Capra and Luigi Luisi ,The systems view of life 2014.p45

الرياضية[2] في وصف السلوكيات والمجتمعات الإنسانية.

وجاء أيضاً (إميل دوركايم) (1858م - 1917م) مع (ماكس فيبر)(1897م- 1920م) واللذان يعتبران من مؤسسي علم الاجتماع الحديث، و(دوركايم) قد أصر على وجوب معالجة الحقائق الاجتماعية مثل الأجسام المادية؛ حيث رأى أن الحقائق الاجتماعية كونها مسبّبة بحقائق اجتماعية أخرى فهي تتناظر مع القوى الفيزيائية الميكانيكية[3].

هذه الرؤية الميكانيكية المادية للسلوكيات البشرية تلغي تماماً حرية الإرادة والقدرة على تغيير الأخلاقيات، وتبطل القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة، وتنكر الترابطية والتداخل والتشابك في المجتمعات البشرية.

لكن مع مجيء الفيزياء الكمّية تغير التفكير حتى في علم الاجتماع، وأصبحت الرؤية السياقية والكلّية المعتمدة على الرؤية الشبكية والتي تؤمن بأولية الوعي وحرية الإرادة هي النموذج الإرشادي لعلم الاجتماع الحديث.

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي

(2)Ibid. p46

(3)Ibid. p298

الحيـوي الإيطـالي (د. ليـوجي ليوسـي): «في حـين أن السـلوك في الميـدان الفيزيـائي محكـوم بالسـبب والنتيجـة بمـا يسـمى بقـوانين الطبيعة؛ فالسلوك في الميدان الاجتماعي محكوم بقواعد متولدة عن طريق النظام الاجتماعي والذي غالباً ما يعدّل إلى قانون، والفرق الحاسـم هـوأن القواعـد الاجتماعيـة يمكـن أن تـتغير لكـن قـوانين الطبيعة لا، فالبشر يمكنهم أن يختاروا كيف يمكن طاعة القاعدة الاجتماعيـة، في حـين أن الجزيئـات الماديـة لا تسـتطيع أن تختـار أن تتفاعل أولا»[(4)].

وفي السـنوات الحديثـة أصـبحت الشـبكات الاجتماعيـة محـل التركيـز والانتبـاه الكبير؛ لـيس فقـط بالنسـبة للـتفكير العلمـي، بـل أيضـاً في رؤيـة المجتمـع البشـري والثقافـة، ولا جـدال أن ثـورة تقنيـة المعلومـات الحديثـة قـد أعطتـها مرونـة غـير مسـبوقة ونطـاق عـالمي جعلتها هي المسيطرة على عصرنا.

يقـول عـالم الاجتمـاع الأمريكـي (د. مانويـل كاسـتيلز): «يتميـز المجتمـع في القـرن الحـادي والعشـرين بتركيـب اجتمـاعي يسـمى بمجتمع الشبكة» [(5)].

إن التنوع الثقافي والإثني كان يُرى على أساس العلم الميكانيكي

(4)Ibid. p307

(5)Cited in Capra and Luisi, Ibid.p312

الداروينـي أساسـاً للصـراع والتنـافس وأن البقـاء للأقـوى، لكـن علـى ضوء العلم الحديث أصبح يُرى مصـدراً للتعـاون والتـرابط وضـرورة لإعطاء المرونة والثراء المعرفي وأساساً لتطور وتلاقح الحضارات

يقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د. فريتجـوف كـابرا): «إن التنـوع استـراتيجية مفيـدة في حـال وجـود مجتمـع نشـط مصـان بشـبكة مـن العلاقـات، لكـن لوالمجتمـع مقسّـم إلـى مجموعـات منعزلـة فـالتنوع يصـبح مصـدراً للتحيـز والاحتكـاك، وفي مجتمـع مـدرك لأهميـة الاعتماد المتبادل فالتنوع سيثري العلاقات ويثري المجتمع ككل، وفي مثل هذا المجتمع المتعاون فإن المعلومات والأفكار تتدفق بحرية خلال الشبكة بأسرها»[6].

ويقـول أسـتاذ الفيزيـاء الحيويـة والمتخصـص في نظريـة المعلومـات الأمريكـي (د. أرفـن لاسـلو): «التحـدّي الأسـاسـي الـذي يواجـه النـاس والمجتمعـات حاليـاً هوالانزيـاح لهـذه الحضـارة المهيمنـة علـى الحيـاة الإنسانية اليوم، وهـذا يعـني الانزياح مـن عقلانيـة الاقتصـاد والسياسـة والثقافـة؛ أي الحضـارة المتشـظية إلى الكلّيـة والانـدماج؛ أي الحضـارة الكوكبية الشاملة التي تمتلك الإرادة والرؤية لتنجز التماسك والتضامن وتترجمها إلى تواجد مشترك وتعاون دولي وثقافي» [7].

---

(6)Fritjof Capra , The web of life ,1996. P304

(7)Ervin Laszlo , quantum shift in the global brain, 2008. P135_136

ومن إعجاز القرآن الكريم أنـه يسبق نظرة العلم الحديث الـتي أقرّت الرؤية الكلّية والتعاون والتشابك؛ فيؤكد القرآن على أن هذا التنوع الثقافي والإثني هومصدر للتعاون والتلاقح الحضاري والتراكم المعرفي.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات 13].

ومن إعجاز القرآن أنه يربط التنوع الثقافي والمعرفي للإنسانية بقضيتين:

الأولى: وحدة الأصل الإنساني أي الأخوة الإنسانية التي خُلقت كلها من أب وأم (آدم وحواء) وإن الخالق هوالله تعالى الواحد الأحد.

الثانية: إن التنوع هومن أجل الترابط والتلاقح المعرفي المؤدي إلى التقدم والتطور الحضاري؛ بمعنى أن الأخوة الأصلية مهما تفرّقت وتنوّعت فلابد أن تعود مرة أخرى، والقضيتان مترابطتان بشكل جذري وعميق، إن توجيهات القرآن الكريم دعوة للانضمام مع قوانين الكون والطبيعة -وسيتضح ذلك أكثر لاحقاً- حتى تكتمل اللوحة الكونية والإنسانية في إطار واحد متناغم؛ فلا يوجد النشاز في هذه السيمفونية الكونية الإلهية التي تسبّح لله تعالى وتشير إلى وحدانيته وقيوميّته.

عاشراً : علم الاقتصاد

Economy

علم الاقتصاد الحديث عمره 350 عاماً؛ فقد تأسس في القرن السابع عشر عن طريق أستاذ علم التشريح البريطاني (ويليام بيتي) (1623م- 1687م)، وأفكاره الاقتصادية التي تدين لأفكار الفيزياء الكلاسيكية لديكارت ونيوتن التي تستخدم الحجج العقلية لتفسير الظواهر الاقتصادية بمصطلحات الأسباب الطبيعية المرئية[1].

وهناك مدرسة ظهرت في القرن الثامن عشر كان لها أثر مهم على النظرية الاقتصادية الكلاسيكية بطلها هو(آدم سميث) الذي ناصر فكرة أن القانون الطبيعي لوتُرك غير معاق فسوف يحكم المسائل الاقتصادية وسيكون لذلك فائدة هائلة للجميع، وبهذا فسياسة عدم التدخل تم انتهاجها كأساس آخر للاقتصاد[2].

لقد أكّد (آدم سميث) على أهمية فكرة أنه لوسُمح للناس بمواصلة اهتماماتهم الذاتية (اليد الخفية)؛ فالقانون الأساسي للاقتصاد السياسي سوف ينظم المجتمع للأفضل[3].

وذلك يعني تعزيز المبادرة الفردية والمنافسة وحرية التجارة لتحقيق أكبر قدر من الثروة.

أما الاقتصادي (توماس مالتوس) (1766م- 1894م) فقد

---

(1)Fritjof Capra and Luigi Luisi , The systems view of Life , 2014 .p48

(2)Ibid.p49

(3)Bruce Rosenblum and Fred Kuttner , quantum enigma , 2006. P37

استخدم بوضوح النموذج الميكانيكي المأخوذ من الفيزياء النيوتونيـة؛ حيـث يقـول: «في الاقتصـاد يجـب أن نـدرس الإنسـان كمـا هوكسـول وخامل وكاره للعمل مالم يُجبر على ذلك»[4].

ويقول (مالتوس): «معظم الناس يحتاجون للإثارة ليعملوا»[5].

وأفكـار مـالتوس إعـادة تنصـيص لقـانون نيـوتن الفيزيـائي الأول القائل: «كل جسم يستمر في حالته من السكون أوالحركة المنتظمة مالم توجد قوة تجبره على أن يغيّر من حالته» فالنموذج الميكانيكي يعتبر الإنسان كتلة خاملة بحيث يجب أن يُنشّط بقوة خارجية.

لقد ذكرنا أثناء حديثنا عن نظرية (دارون) أن (مالتوس) رأى إن تعداد السكان يتضاعف مع مرور الزمن ، وقد زعم إن تنظيم النسل للحد من زيادة عدد السكان لا يكفي للوقاية من المجاعة ، وقد رأى في نظريته أيضًا بوجوب عدم توزيع الثروة على الفقراء ، وإن الذي لا يوجد من يعيله فمصيره هو الموت حتمًا.

أما كارل ماركس مؤسس الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي فقد اعتمد في نظريته الاقتصادية على دعامتين:

الأولى: نظرية دارون المعتمدة على فكرة الصراع والتنافس؛ حيث

(4)George Stanciu and Robert Augros , The new Biology , 1987. P7

(5)Ibid.p7

قـام مـاركس بنقـل فكـرة دارون عـن الصـراع في الطبيعـة إلى الإنسان؛ فقد اعتبر أن حركة التاريخ البشري معتمدة على فكرة الصراع بين الطبقات.

الثانية: فيزياء نيوتن الميكانيكية التي اعتبرت أن الكون آلة تحكمها قـوانين طبيعيـة حتميـة، واعتـبر مـاركس أن المـادة هـي المحـرّك الأساسي وأنها سبقت الفكر والعقل.

يقول كارل ماركس: «إن الحياة المادية تحدد الخاصية العامة للعمليات الاجتماعيـة والسياسـية والروحيّـة للحيـاة، ولـيس الـوعي للناس هوالذي يحدد وجودهم، بل على العكس وجودهم الاجتماعي هوالذي يحدد وعيهم»[6].

واستناداً على أن البشرية تحكمها قوانين ميكانيكية حتمية فقد رأى ماركس أن الشيوعية هي المصير الحتمي للبشرية، والتي تعتمد على إلغاء الملكية الفردية وتأميم وسائل الإنتاج للدولة.

وإجمـالاً جميـع هـذه النظريـات الاقتصـادية تسـتند علـى النمـوذج الإرشادي لفيزياء نيوتن القائم على الميكانيكية والحتمية وإنكار أولية الوعي وحرية الإرادة وعدم وجود التداخل والتشابك والتعاون في قوانين الكون والطبيعة ورؤية الكون بقوانين متناقضة والطبيعة بقوانين الصراع والتنافس وتلغي كل مرجعية دينية وأخلاقية في الاقتصاد.

(6) Cited in Stanciu and Augros , Ibid p8

ولأن النموذج الميكانيكي قد تبيّنت محدوديته، والنموذج الدارويني انهار كلّية على ضوء تقدم العلم الحديث، فلا عجب أن هذه الأفكار الاقتصادية قد انهارت، وخاصة الشيوعية التي اعتمدت على أجندة إلحادية شديدة وعلى حمّامات الدماء والعنف والجرائم.

أما الرأسمالية الحديثة وفكرة العولمة القائمة على المعلومات العالمية وشبكة الاتصالات والتقنيات الحديثة والحواسيب؛ فإن هذه التقنيات قد ساعدت على ميلاد رأسمالية متوحشة رسّخت قواعد اقتصادية أنتجت العديد من النتائج المهلكة مثل التفسخ الاجتماعي وانهيار الديمقراطيات الحقيقية وتدمير سريع وكثيف للبيئة وسلسلة لا عد لها من الأزمات المالية وزيادة الفقر والإقصاء وتركّز الثروة في أيادي قلة من الناس وحرمان الأغلبية منها.

يقول الفيزيائي الأمريكي (د. فريتجوف كابرا) والكيميائي الإيطالي (د. ليوجي ليوسي): «في مركز الاقتصاد العالمي الحالي هناك شبكة من التدفقات المالية التي تم تصميمها بدون أي إطار أخلاقي، وفي الواقع عدم العدالة والاستبعاد الاجتماعي سمات متأصلة للعولمة الاقتصادية التي توسّع الفجوة بين الغني والفقير وتزيد من الفقر العالمي» [7].

ويقول (د. كابرا) و(د. ليوجي): «في الرأسمالية العالمية تم استبعاد الاعتبارات الأخلاقية؛ سواء أكانت حقوق الإنسان وحماية البيئة أوحتى

(7) Capra and Luisi , Ibid.p363

الأمانة الأساسية لعمل تجارة أمينة، والتركيز أصبح فقط على جمع المال»[8].

وعلماء الاقتصاد الحقيقيون يبحثون عن نظرية اقتصادية تتلاءم مع الفكر العلمي الجديد؛ أي (الفيزياء الكمّيّة) التي برهنت على أولية الوعي وحرية الإرادة الإنسانية والتداخل والترابط والتعاون والمنظومة الشبكية التي تؤطر قوانين الكون والحياة، ويبحثون عن كيفية تأصيل المنظومة الأخلاقية والعدالة الاجتماعية وعن قوانين اقتصادية تحفظ وتصون البيئة من الدمار والخراب.

يقول (د.كابرا) و(د. ليوجي): «الاقتصاديون عموماً يفشلون في أن يدركوا أن الاقتصاد يعد مجرد وجه واحد من كل البنية الاجتماعية والبيئوية؛ فهم يهملون الاعتماد المتداخل للعوامل الاجتماعية والبيئوية، ويختزلون كل القيم لمعيار واحد هوالفائدة الخاصة»[9].

ويقول (د. كابرا) و(د. ليوجي): «نحن جميعاً أعضاء في الإنسانية، ونحن مرتبطون بالغلاف الحيوي الأرضي، وكأعضاء لأسرة الأرض يلزمنا ذلك أن نسلك بطريقة لا تتعارض مع القدرة المتأصلة للطبيعة التي تصون شبكة الحياة، وكأعضاء في المجتمع الإنساني لابد أن يعكس سلوكنا احترام الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان الرئيسية»[10].

---

(8) Ibid .p380

(9) Ibid .p65

(10) Ibid .p390

ومن إعجاز القرآن أنه قد وضع نظاماً اقتصادياً كونياً يجعل الإنسان ينضم إلى منظومة الكون وشبكة الحياة في قانون واحد ويتناغم تماماً مع ما وصل إليه العلم الحديث في رؤيته الكلّية والشمولية.

والقرآن الكريم قبل أن يضع قانونه الاقتصادي يؤكد على قضايا أساسية ينبثق منها كل تصور اعتقادي وأخلاقي وهي:

أولًا: أن الخالق والمصمم لهذا الكون هوالله تعالى؛ فبالتالي حق التشريع والتصرف والأمر هولله وحده، وهذه قضية لا تلتفت إليها أية نظرية اقتصادية بشرية، يقول تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[المائدة 125]، ويقول تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[الأعراف 54].

وقد رأينا في هذه الدراسة الأدلة العلمية والبراهين العديدة على أن الكون مخلوق، وأن الخالق هوالله تعالى.

يقول أستاذ علم الكون الأمريكي: (د. جويل بريماك): «إن الله الذي يظهر من فهمنا العلمي يتحدث بطريقة ما إلى الكون نفسه»[11].

وكما أشرنا فهذه القضية الاعتقادية الجوهرية والأساسية لا تتعرض لها النظريات الاقتصادية الوضعية؛ فهي إما قد أغرقت

(11) Joel Primack and Nancy Abrams , The view from the center of universe , 2006 p225 .

نفسها في الإلحـاد مثل الماركسية، أولا تهتم أصـلاً بسـر وجـود هـذا الكون لأن فلسفتها تقوم على البراجماتية والنفعية مثل الرأسمالية، وهذا هوالسر الأعظم في فشل هذه النظريات.

ثانياً: القضية القرآنية الاقتصادية الثانية مترتبة على الأولى، وهي أن الإنسـان خليفـة الله تعـالى في هـذه الأرض ولـيس أصـيلاً فهومطالب بتطبيق تشريعات وأوامر وتوجيهات الله تعالى.

وهنـا أيضـاً فـرق حاسـم وجـوهري بـين النظـرة القرآنيـة الاقتصادية، وبين نظريات الاقتصاد البشرية التي لا تهتم بمسألة كيف جاء الإنسان؟ وما هي مهمّته الأصلية ؟، وبالتالي اعتبرت أنه صاحب الحق في التشريع والتقنين، ونظراً لقصور عقل الإنسان وعجزه عن الرؤية الكونية الشاملة فقد سقط في هذا البحر من الفساد والظلم.

أما الإنسان من المنظور القرآني فهوخليفة الله تعالى، وبالتالي فعليه الالتزام بأوامر الخالق الأعظم الذي خلق ودبّر هذا الكون وهوأعلم بما يصلح الإنسان؛ فهومستخلف وليس صاحب الحق في التصرف كما يشاء.

يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[البقرة 30].

ويقول تعالى: ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[الحديد 7].

إنهـا مشـيئة الله تعـالى الـتي أرادت أن تسـلم لهـذا الكـائن الجديد(الإنسان) زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخـالق في الإبـداع والتكـوين وكشـف مـا في هـذه الأرض مـن قوى وخامات، ويترتب على ذلك نقطة جوهرية وهـي حرية الإنسـان في أن يغيّر ويبّدل ويقود الاتجاهات ويطبّق العدالـة الـتي أرادهـا الله تعـالى، وبالتـالي فليسـت وسـائل الإنتـاج هـي الـتي توجهـه كمـا تـرى الماركسية والتي حقّرت من شأن الإنسان وجعلتـه مجـرد آلـة لا خيـار لها، ولا توجد في الدين الإسلامي الرأسمالية المتوحشة التي أطلقت الحريـة للإنسـان بـلا ضـوابط أخلاقيـة؛ فكـان هـذا الظلـم والفسـاد اللذين كانا السبب في خراب الأرض بأسرها.

ثالثـــاً: هنـاك قضـية مهمـة جـداً وهـي مترتبـة علـى القضـيتين الاعتقـاديتين السـابقتين وهـي تخـص هـذه الثـروات الطبيعيـة الموجـودة في الأرض، حيـث لا توجـد نظريـة اقتصـادية وضـعية تتسـاءل لمـاذا احتـوت الأرض علـى هـذه الثـروات؟ ولا مـن الـذي أوجدها وسخرها لمصلحة الإنسـان؟؛ فهـذه الأسـئلة لـوتم إدراجهـا فالنتيجة هي الدخول في دائرة الدين حتماً؛ فالله سبحانه وتعـالى قد خلق الأرض بكل هذه الكنوز والثروات من أجل أن يتم توزيعها التوزيع العادل بين النـاس، بالإضافة إلى إقامـة الحضـارة العلميـة والتكنولوجية التي ننعم بها جميعا اليوم.

وعلماء الجيولوجيا اليوم يندهشون من وجود الثروات الطبيعية في كوكب الأرض وكأن الأرض قد عرفت مسبقاً أن هناك كائناً حياً اسمه الإنسان سيأتي وسيقوم باستغلالها وتوظيفها لصالحه.

يقول الجيولوجي الأمريكي (د. جورج برمهال): «الخلق للخامات المعدنية وتوضيعها بالقرب من سطح الأرض لا يعد نتيجة لصُدف جيولوجية، بل هي سلسلة دقيقة من الأحداث الفيزيائية والكيميائية حدثت في البيئة الصحيحة وسلسلة متنوعة بشروط مناخية معينة أمكنها أن تعطي ظهوراً لتركيز عالٍ لهذه المكونات الحاسمة لتطور الحياة والتكنولوجيا»[(12)].

وقد كشف علم الجيولوجيا الحديث عن حقبة جيولوجية من أهم الحقب التي كانت سبباً هائلاً في تركيز هذه الثروة الطبيعية وهي الحقبة الكربونية التي ظهرت منذ 300 مليون سنة، والتي ولّدت الغابات والأشجار التي كانت السبب في تكوين الفحم والبترول.

يقول أستاذ علم الفلك الأمريكي (د. جيوليرموجونزاليز): «إن الأشجار والرسوبيات المتراكمة الهائلة للحياة القديمة تحوّلت إلى وقود، ومعظم الفحم الذي نحرقه اليوم تولّد من الغابات المزدهرة للفترة الكربونية منذ 300 مليون سنة، والبترول تكوّن من نباتات

(12)Cited in Guillermo Gonzales and Jay Richards , The privileged planet , 2004 .p62 .

بحرية في نفس الفترة، وكلا الوقودين جعلا من الممكن قيام الثورة الصناعية» [13].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد ذكر قبل 1400 عام هذه الحقبة الجيولوجية التي كانت السبب الرئيس في تكوين هذه الثروات حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[الأعلى 4-5].

والمرعى هوالنباتات التي أخرجها اللّه تعالى التي تحوّلت إلى (غثاء) وهوحطام المرعى، وكلمة أحوى تعني أسود بمعنى الفحم والبترول، إذاً الآية الكريمة تشير إلى عناية اللّه تعالى في تجهيز كوكب الأرض بهذه الثروة، فإذاً من يملك حق توزيعها؟ يقول تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[طه 6] إشارة قرآنية أخرى إلى الثروات الموضوعة تحت الثرى أي التراب.

اذاً اللّه تعالى الخالق المالك المتصرف في هذا الكون هومن يملك حق التشريع وتوزيع هذه الثروات بين الناس، وهذا هوالفرق الشاسع بين النظرة القرآنية الاقتصادية القائمة على النظرة الكونية الشاملة، وبين النظرية الوضعية الفاسدة التي لم تحقق إلا الخراب والمظالم.

والتشريعات القرآنية الاقتصادية كثيرة، ولا نملك هنا أن نذكر التفاصيل؛ إلا أننا سنذكر الأسس الكبرى التي اعتمد عليها الاقتصاد

(13)Gonzalez and Richards , Ibid.p61

القرآني الذي برهن على أنه العدالة القائمة على النظرة الكونية الشاملة.

لقد شرع الله تعالى الزكاة وجعلها أحد أركان الإسلام، وإحدى صفات المؤمنين هي إعطاء الزكاة كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾[المؤمنون 4].

وشرع الله المواريث والصدقات وحث على الإنفاق بشكل كبير؛ فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**﴾[البقرة 267].

وهذه الآية تشمل جميع الأموال وما أخرجه الله للناس من الأرض من زرع وغير الزرع ومما يخرج من الأرض أيضاً؛ مثل الثروات الطبيعية من بترول وغيره.

وكل تشريعات القرآن في الأموال سواءً أكانت الزكاة أوالمواريث أوالصدقات تهدف إلى تفتيت الثروة وتوزيعها بين الناس كي لا تتركز في أيادي حفنة قليلة من الناس ويُحرم منها الأغلبية، وهي نوع من التكافل الاجتماعي الذي يضمن تحقق العدالة بين الناس.

يقول تعالى عن المال: ﴿**كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ**﴾[الحشر 7].

كذلك حرّم القرآن الربا الذي يعد سبباً رئيسياً في الخراب الاقتصادي الموجود اليوم، وليس هذا فقط بل إن القرآن الكريم يقيم تشريعاً اقتصادياً بين البشر يتناغم مع قوانين الكون والحياة؛ فقد رأينا أن العلم الحديث قد برهن على الترابط والتشابك

والتـداخل في قـوانين الكـون وشـبكة الحيـاة، وأن هنــاك تراتبيـة في الطبيعـة، بمعـنى أن هنــاك تفاوتـاً بـين الكائنـات الحيّـة مـن حيـث التكـوين والقــدرات، ولكــن هــذه التراتبيــة والتفــاوت في المواهــب لا تتصـارع ولا تتنـافس، بـل تتعـاون وتتكامـل وتتـداخل ضـمن شـبكة مترابطـة، بحيث كل كـائن يعتمـد علـى الآخـر حتى يتحقـق التـوازن البيولوجي وتكافؤ الفرص.

يقـول الفيزيـائي الأمريكـي (د. فريتيجـوف كـابرا) والكيميـائي الحيـوي الإيطـالي (د.ليـوجي ليوسـي): «تحتـوي شـبكة الحيـاة على شـبكات ضـمن شـبكات، وهـذه الأنظمـة تتفاعـل مـع بعضـها الـبعض ضمن أنظمة في مخطط تراتبي؛ بوضـع الأنظمـة الأكـبر مـع الأنظمـة الأصغر في نموذج هرمي، وبالتالي تتداخل ضمن شبكات» [14].

وهـذا القـانون المتـرابط ذو التراتبيـة والشـبكة الـتي يخضـع لهـا الكـون والطبيعـة هوبالضـبط مـا نطـق بـه القـرآن الكـريم كنظـام اقتصادي واجتماعي للبشرية بأسرها قبل أكثر من 1400 عام.

يقول تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[الزخرف 32].

(14)Capra and Luisi , Ibid .p68

تشير الآية إلى أن الله تعالى قد جعل التراتبية بين الناس لاختلاف المواهب والملكات (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات)، لكن المواهب المتنوعة عليها أن تتكامل وتتعاون وتتشابك في نموذج شبكي، فكل موهبة مُسخّرة في خدمة المجتمع ككل (ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا).

إن تشريعات القرآن الاقتصادية دعوة للانضمام لقوانين الكون والحياة، بعكس التشريعات الاقتصادية الوضعية التي لم نر فيها إلا النشاز والفساد والخراب والظلم والفشل في تحقيق أي شيء لمنفعة البشر.

وأخيراً نرى أن علم الاقتصاد الحديث الذي بدأ مادياً وميكانيكياً قائماً على التنافس والصراع والانعزالية واللاأخلاق يبحث الآن عن العلم الاقتصادي الذي يقوم على الإبداع والتعاون والتكامل والعدالة الاجتماعية والمنظومة الأخلاقية؛ ولن يجد الناس ذلك الاقتصاد إلا في تشريعات القرآن الكريم الكونية التي تحقق كل ذلك.

الخلاصة : القرآن الكريم

ضبط حركة الإنسان

مع قوانين الكون والحياة

(الإسلام هو الديانة الكونية والإنسانية)

بعد أن وصلنا إلى آخر هذه الرحلة العلمية المختصرة عمًّا وصلت إليه العلوم الحديثة بكل فروعها، والتي نفضت عنها غبار الإلحاد والفكر المادي وبرهنت على الكون المخلوق والمُصمّم من قبل الخالق الأعظم وهوالله تعالى.

ماذا بقي ؟!

لا شك أن العالم الغربي تحديداً وقد وصل إلى ما وصل إليه من تقدم علمي وتقني كشف أسرار الكون والحياة يبحثون عن ديانة تنسجم مع كل هذه الكشوفات العلمية وتضبط سلوكياتهم مع إيقاع الكون والحياة فلا يحدث الشذوذ والنشاز، أما واقع المسلمين فهويتحدث عن نفسه، وبالتأكيد فلن يخرج المسلمون من واقعهم المزري إلا بأن يأخذوا دينهم كاملاً غير منقوص.

ولقد اعترف الكثير من العلماء الكبار بسقوط الحضارة الغربية المادية وفشلها في تحقيق التناغم والوئام مع الكون والطبيعة، فكانت النتيجة الانكسارات الأخلاقية التي يعانون منها.

ولنقرأ بعض الاعترافات بهذه الحقيقة الحزينة من كبار علماء الغرب المعاصرين.

يقول أستاذ الفيزياء الحيوية وأستاذ نظرية المعلومات الأمريكي (د.ارفن لاسلو): «إن الاعتقاد بالرابطة بين الثراء والسعادة ليس دقيقاً؛ فالمال يشتري عدة أشياء لكن ليس السعادة، ويشتري المُتعة والاهتمام لكن ليس المحبة، ويشتري المعلومات لكن ليس الحكمة،

وفي الولايات المتحدة الأمريكية المال قد تضاعف لكن مستوى السعادة انحدر وأولئك الذين يشعرون بالسعادة فقط 32٪ من السكان، وفي نفس الوقت تضاعف الطلاق وتزايدت معدلات الانتحار وزادت معدلات الجريمة، وأكثر الناس يعانون من الاكتئاب، ولدينا في أمريكا منازل لكنها منهارة أسرياً، ولدينا دخل مادي لكن بأخلاق معدومة»[1].

ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (د. ميناس كافاتوس) وأستاذة الرياضيات وعلوم الحاسوب الأمريكية (د. تاليا كافاتو): «بالرغم من قوة الدين التي كانت موجودة في العصر الوسيط إلا أن فقدان الإيمان بالله قد دمّر المثل العليا للمجتمعات الغربية»[2].

وعن النظرية الداروينية المنهارة التي كانت السبب في السقوط الأخلاقي والنظرة الإلحادية عند الغربيين؛ يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. لوثار تشافير): «إن وجهة نظر الداروينية أصبحت لا تطاق كميتافيزيقا للقيم الإنسانية، لقد حان الوقت لنعيد الرؤية الحقيقية للحياة وننظّم الحياة البشرية طبقاً لطبيعة الحقيقة»[3].

والحقيقة التي ينشدونها لن يجدوها إلا في الدين الإسلامي وشريعته الغرّاء التي برهنت أنها شريعة الكون نفسه، وسيأتي

(1) Laszlo , Quantum Shift in The Global Brain,2008.p55 - p56

(2) Menas Kafatos , Thalia Kafatos ,Looking ln & Seeing Out,1991 ,p17

(3) Lothar Schafer , Quantum Physics of Consciousness,2011.p85

البيان والبرهان على ذلك.

ويقـول الطبيـب وعـالم الـنفس وأسـتاذ علـوم الأعصـاب الدماغيـة الأمريكي (د. جاري شوارتز): «لقد حان الوقت أن نبدأ بأخذ مسؤوليتنا الشخصية للإمكانيات التنظيمية لذهننا، وأن نتعلم كيف نصبح جنساً له حكمة، وعلى الرغم من أنه كان من الحكمة فصل الدين عن الدولة؛ فقد حان الوقت من الناحيّة العلمية أن نربط اللّه مع حياتنا»[4].

وعن العلم الحديث الذي هدم الإلحاد وعاد إلى الإيمان باللّه وبقـوة يعتـرف (د. جـاري شـوارتز) بهـذا الاعتـراف الـثمين؛ حيـث يقـول: «إن العلـم الحـديث يكتشـف الخـالق في كـل مكـان ويـدعم إيماننا، ولا يجب أن يُرى العلم كعدو للدين، إن العلم المعاصر أصبح أداة كونية تعرض الخالق وتُكشف من خلاله العبقرية الروحيّة الـتي توجـد ضـمننا وحولنـا..إن العلـم لا يجعـل النـاس فقـط يـرون قـوة عقولنـا، بـل يمكّننـا أيضـاً أن نكتشـف العقـل الكـوني الـذي يقـدم الشرارة التي تشعلنا جميعا»[5].

وماذا بعد كل هذه الاعترافات ؟!

إن الإلحاد أصبح قضية مستندة على الخرافات والجهل والتكبر والعناد، ولم تعد له أي قيمة من الناحية العلمية، وأصبح الآن الشغل

(4) Gary Schwartz, the God Experiments ,2006.p175

(5) Ibid.p167

الشاغل لكل العلماء المتخصصين هوالبحث عن الديانة التي توحّد الإنسان مع منظومة الكون والطبيعة، ونحن بدورنا نقول أن الإسلام الذي جاء بأعظم معجزة وهي القرآن الكريم التي نزلت على الرسول الأعظم محمد صلى اللّه عليه وآله وسلّم هوالدين الذي يبحث عنه هؤلاء العلماء.

لقد جاء القرآن الكريم بالتشريعات والقوانين التي برهن العلم الحديث أنها هي القوانين التي يدين بها الكون بأسره، حيث يقول اللّه تعالى في محكم تنزيله: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[ال عمران 83].

لقد أسلم الكون بأسره وأعلن الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمد رسول اللّه)، ولم يتبق للإنسان إلا أن ينضم إلى هذه اللوحة الكونية الشاملة العابدة والخاشعة للّه تعالى.

والآن سنلقي الضوء على شريعة القرآن الكريم التي أنزلها اللّه تعالى؛ ليتناغم الإنسان مع ديانة الكون والطبيعة ألا وهي الدين الإسلامي.

1- التوحيد: إن توحيد ذات اللّه تعالى يعد أهم أساس للعقيدة الإسلامية، ولقد تبيّن أن قوانين الكون تنصاع لقوانين فيزيائية وطبيعية موحدة والإنجاز الأخير هوتوحيد كل قوانين الكون في صيغة رياضية واحدة، وقد أثبت تاريخ العلوم الكونية أنه في أساسه توحيد للقوى الكونية في مخطط رياضي واحد .

يقول الفيزيائي والبيولوجي الأمريكي (د. جيرالد شرويدر): «إن كل شيء بلا استثناء يعد مظهراً لوحدة أبدية ووعي كلّي الوجود ومتجاوز للمادة هوالذي نسمّيه الله»[6].

يقول الله تعالى في قرآنه الحكيم ﴿**قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص 1].

2- الصلاة: وهي عماد الدين وأهم العبادات قاطبة، ويُلاحظ أن الانحناء والسجود هما أعظم صورة تتميّز بها هذه العبادة؛ فأقرب ما يكون العبد لربه عندما يكون ساجداً، ومن الرائع أن نجد أن الهندسة الكونية تحكمها المسارات المنحنية المحدبة، فقد عرفنا من خلال نظرية اينشتين النسبية العامة أن جميع أجرام الكون من نجوم وكواكب ومجرات وإشعاعات تسير جميعها في مسارات منحنية مقوّسة ساجدة لله تعالى.

يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**﴾[الحج 18].

تشير الآية الكريمة إلى مشهد السجود الكوني لله عز وجل كما كشفته الفيزياء الكونية الحديثة.

ولم يبق للإنسان إلا أن ينضم إلى هذه السيمفونية الكونية الساجدة

(6)Gerald Schroeder,The Hidden Face of God ,2001.p14

لله فيقول تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[الحجر 98].

3- الاقتصاد في النفقات ورفض الغلو في كل شيء يعد ركناً مهماً في الشريعة الإسلامية، والمذهل أن نجد أن نفس هذا المبدأ يسير عليه الكون والطبيعة، فمسارات الضوء والإشعاعات والنجوم والكواكب، بل ومسارات الإلكترونات في الذرة كلها تتخذ أقصر الطرق وفي أقل الأزمنة، ونفس هذا المبدأ ينطبق على التكوينات الحيوية وسلوك الأحياء، وهوما يسمى (بمبدأ الحد الأدنى من الفعل ذي الفعالية والاقتصادية)؛ فقد تبين أن قوانين الكون والطبيعة لا تحبذ الأنشطة المسرفة أبداً.

يقول البيولوجي الأمريكي (د. آركي تومبسون): «إن الاقتصادية والفعّالية تعد أفضل ما يكون تحت كل الظروف؛ حيث يتم العمل بأقصى فعّالية وأقل تكلفة، وهذا يعد جزءاً من ايماننا بمثالية الطبيعة في عملها»[7].

والقرآن الكريم يأمر الإنسان أن ينضم إلى قوانين الكون والطبيعة؛ فيأمر الإنسان بهذا الأمر الإلهي الذي ينصاع له الكون بأسره وهوالأمر بالاقتصاد في النفقات.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان67].

(7) Cited in George Stanciu & Robert Augros ,The New Biology 1987

4- الطواف والدوران حول مصدر النور والقوة هما اللغة الفيزيائية والفلكية لهذا الكون؛ فالإلكترونات تدور حول نواة الذرة، وكواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس، والنظام الشمسي يدور حول مجرة سكة التبانة، والمجرة تدور حول مجموعات مجرية وهكذا.. نجد أن الكون في حالة دوران وطواف لا نهائيين.

وهذا النظام الكوني هونفس طواف المسلمين حول أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى (الكعبة) والذي يعد منبع وضياء الإيمان ومصدر قوة ووحدة المسلمين.

إن مشهد الطواف الكوني والإنساني لوحة بديعة تشهد بأن الإسلام هوالدين الذي وحّد الإنسان مع منظومة الكون بأسره.

5- الشريعة الإسلامية أقرت نظام التكاملية والتعاون والتكافل بين البشر؛ فليس هناك تنافس ولا صراع ولا احتكار للثروات، بل العدالة القائمة على التعاون والتكامل اللذين لا يحرمان الناس من مواهبهم المتميزة التي بها تتكامل الحياة وتتوازن.

وقد رأينا قوانين الكون المتشابكة والمترابطة والمتداخلة، ورأينا أن الطبيعة محكومة بالتعاون والتكامل والنموذج الشبكي؛ فيأتي هذا الأمر الإلهي في القرآن لينضم البشر مع هذه اللوحة المتكاملة؛ فيقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة 2].

6- الإيمـان بالغيـب مـن أهـم قضـايا العقيـدة الإسـلامية؛ فالإنسـان بعقلـه القاصـر لـن يستطيع أن يعـرف كل شـيء، والعلـم الحـديث يبرهن على أن العقل البشري محدود وليس أمام الإنسان إلا فهم الظـواهر ونمـط العلاقـات الـتي تحكمهـا؛ فقـد اكتشـفنا مبـدأ اللااكتماليـــة في الرياضـــيات، ومبـــدأ اللايقـــين في الفيزيـــاء، وأصبحت المعرفة الإنسانية غير كاملة، والغيب مستور عن أنظار وأفكار البشرية؛ حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[لقمان34].

إن الغيب أصبح أحد قوانين هـذا الكون الفيزيائيـة والرياضية، ويجيء القرآن ليعلن أن الإنسان أيضاً ينضم إلى هذا القانون، وهـو عدم معرفته للغيب فينسجم مع القانون الكوني العام.

7 - وهنــاك حقيقــة علميــة كونيــة وطبيعيــة وحقيقــة تشــريعية قرآنيــة عظيمة للغاية، وتعد من أعظم الدلائل على أن مُنّزل القرآن الكريم هوخالق هذا الكون الذي قدّره وفق موازين رياضية دقيقة.

لقد لاحظنا أن القرآن الكريم قد تكرر فيه الرقم (4) في الكثير من آياته؛ سواء في الخلق أوفي التشريع لنأخذ أمثلة:

1- إتمام الخلق للأرض تم في 4 أيام يقول تعالى: ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ**﴾[فصلت 10].

2 - الأشهر الحرم التي حرّم الله فيها القتال هو 4 أشهر يقول تعالى: ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾[التوبة 36].

3 - تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية أقصى عدد هو 4 زوجات يقول تعالى: ﴿**انكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾[النساء 3].

4 - عدد الشهود في القرآن لإثبات جريمة الزنا هو 4 شهود يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾[النور 4].

5- شهادة إثبات تهمة الزنا على الزوجة في حال عدم وجود شهداء غير الزوج 4 شهادات.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[النور 6].

6 - تدفع الزوجة عن نفسها تهمة الزنا بأن تشهد 4 شهادات يقول تعالى: ﴿**وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[النور 8].

7- عندما سأل ابراهيم عليه السلام ربه سبحانه وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى اختار الله تعالى الرقم 4، يقول تعالى: ﴿**قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ**﴾[البقرة 260].

إن هذا التكرار للرقم 4 في تشريعات القرآن ليس تصادفياً ولا اعتباطياً، بل برهان ساطع على أن مُنّزل القرآن هوخالق الكون

الـذي جعـل اسـتقرارية قـوانين الكـون الفيزيائيـة والطبيعيـة علـى الرقم(4) كيف ذلك؟!

إليك البيان:

1- القوى التي تحكم قوانين هذا الكون = 4، وهـي القـوى الجاذبية والقـوى الكهرطيسـية والقـوى النوويـة القويـة (الـتي تمسـك بنـواة الذرة) والقوى النووية الضعيفة المسؤولة عـن النشـاط الإشـعاعي، وكل قـوى مـن هـذه القـوى الأربـع لهـا سيناريومرسـوم ومحـدد في صيانة استقرار الكون.

يقـول الفيزيـائي والبيولـوجي الأمريكـي (د. جيرالـد شـرويدر): «إن القـوى الأربعـة الأساسـية وهـي الجاذبيـة والكهرطيسـية والقـوى النوويـة القوية والقوى النووية الضعيفة ليس لها تفسير منطقـي لوجودهـا، لكن بسببها لدينا كون مصمم للحياة مملوء بالنظام والاستقرارية»[8].

2- أبعـاد الكـون الزمكانيـة هـي 4 كمـا أوضـحتها نظريـة النسـبية لأينشتين، فهناك ثلاثة أبعاد للمكان (الطـول- العـرض-الارتفـاع) وهناك البعد الرابع وهو الزمن.

بمعـنى أننـا إذا أردنـا تحديـد أي حـدث كـوني؛ فلابـد أن نحـدد أربعة أرقام؛ 3 للمكان، وواحد للزمان.

(8) Schroeder , Ibid.p31

وهنـاك حسـب النظريـة النهائيـة للكـون -وهـي نظريـة الأوتـار الفائقة (Super Strings)- فهنـاك 6 أو7 أبعـاد مكانيـة إضـافية ملتفة على مستوى الجسيمات الذرية، لكن هذه الأبعاد الفضائية الإضافية لا تلعب أي دور في السيناريوالكوني حالياً.

3- الكـرة الأرضـية لهـا أربعـة فصـول ضـرورية لإنتـاج الحيـاة بتنوعاتها وثرائها (الصيف-الشتاء-الخريف-الربيع).

4- درجة الحـرارة الـتي يبـدأ فيهـا المـاء بالانكمـاش ثم التمـدد حتى يخف وزنه وبذلك يرتفع الجليد فوق سطح البحيرات والمحيطات لتعيش الكائنات الحيّة تحت الماء هي 4 درجات مئوية.

5- الحروف الوراثية (النيوكليوتيدات) الـتي تكوّن الحلـزون المـزدوج D.N.A والمعلومــات الوراثيــة للكائنــات الحيّــة هــي 4 حــروف وهــي(الأدنــين A، السيتوســين C، الجــوانين G، التــايمين T)، واستقرارية الشفرة الوراثية تعتمد على أن عدد الحروف الوراثيـة = 4، ولقـد برهنـت الدراسـات البيولوجيـة أن أي زيـادة أونقصـان عن الرقم 4 يقوّض استقرارية الشفرة الوراثية.

6- البروتينـات Proteins وهي الماكينات التي تكوّن التكوينـات الحيويـة تعـد جزيئـات معقـدة، ويصـنف علمـاء الكيميـاء الحيويـة تركيـب البروتينات إلى 4 مستويات وهـي: المسـتوى الأساسـي وهوالسلسـلة الخطيـة مـن الأحمـاض الأمينيـة، والمسـتوى الثـانوي وهوالنطـاق

القصير من التنظيمات ثلاثية الأبعاد التي تصنع العمود الفقري للبروتين وهي (الالتفاف العشوائي -حلزون ألفا- صفيحة بيتا B المنثنية)، والمستوى الثلاثي وهويصف الشكل الكلي للسلسلة الكلية لعديد الببتيد(*)، والمستوى الرباعي يظهر عندما السلاسل المنفردة تتفاعل لتكون تركيباً وظيفياً، باختصار تركيب البروتينات يستقر على 4 مستويات تنظيمية.

ولقد اعترف البيولوجي وأستاذ علم الجينات الأسترالي (د. مايكل دنتن) بهذا الاعتراف المذهل؛ حيث يقول: «انه غالباً ما يقال بأن اللّه رياضي، ومن دليل البيولوجيا الجزيئية نضيف أنه يحب الرقم 4»[10].

7- فصائل الدم الإنسانية هي 4 فصائل (A-B-AB-O)، ولا يزال هذا الرقم 4 محل بحث عند علماء الدم؛ أي لماذا هذا الرقم بالتحديد؟!

وهكذا نجد هذا التطابق المعجز والمدهش بين استعمال القرآن الكريم للرقم 4 في تشريعاته وفي إتمام خلق الأرض، وبين قوانين الكون والطبيعة التي تعتمد في استقراريتها على الرقم (4).

إنه برهان ساطع وحجة باهرة تنخلع لها الرقاب تؤكد أن القرآن الكريم هوالكتاب السماوي الذي يوّحد الإنسان والكون في بوتقة واحدة؛ لتكتمل اللوحة العابدة والساجدة للّه الواحد الأحد.

(*) سلسلة عديد الببتيد هي السلسلة المكونة من 2 من الأحماض الأمينية أوأكثر.

(10) Michael Denton, Nature's Destiny,1998.p192

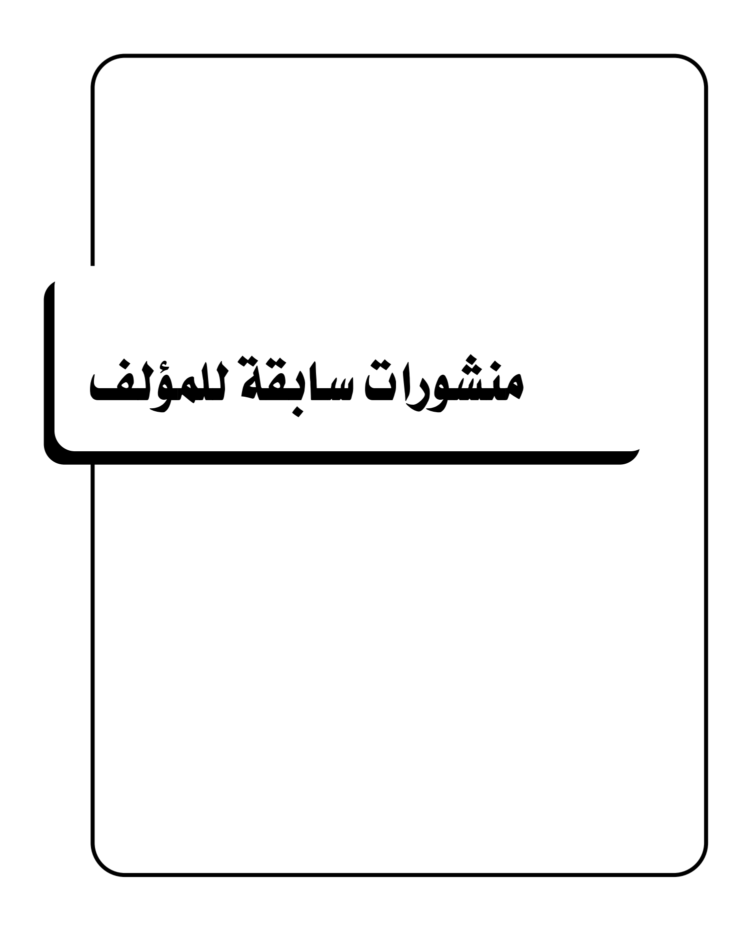
وصدق الله تعالى القائل في كتابه الكريم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الفرقان 6].

والنتيجة الأخيرة لهذه الدراسة المختصرة هي أن على الإنسان المتمرد والجاحد الذي أوصله غروره وعناده إلى ما وصل إليه من فساد وطغيان وظلم أن يقرأ الكتابين اللذين جعلهما الله تعالى حجة على العالمين وهما (القرآن والكون)، وسيجد الملاذ الآمن والنجاة من كل هذه الصورة القاتمة التي يحياها.

وما أروع ما قاله الفيلسوف اليوناني (أفلاطون): «استطيع أن أعذر الطفل الذي يخاف من الظلام، لكني لا أستطيع أن أعذر الرجل الذي يخاف من الضوء»، وما أكثر الذين يخافون من الضوء في عصرنا هذا!.

والختام إن الحمد لله تعالى على هدايته، ونسأله تعالى أن نكون ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، كما نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات يوم العرض الأكبر إنه سميع مجيب.

أسامة علي الخضر



منشورات سابقة للمؤلف

رؤية قرآنية لقوانين الكون

هذا السر الأعظم هو الذي اختاره أخونا «أسامة علي الخضر» موضوعاً لكتابه. ولا شك أن الأخ أسامة قد اختار أن يلقي بنفسه وفي دوّامات من الأسرار والمجاهيل.. ولقد حاول مخلصاً أن يستعين بإينشتين ونيوتن وكل عباقرة الرياضة والفيزياء والذرّة.. وقد بذل قصارى جهده.. وقدم لنا جهداً مخلصاً.

والمهمة شاقة

والملاحة صعبة

ونحن نحيّي فيه هذه الشجاعة وهذا الإصرار.

ونرجو أن يكون ما قدمه في كتابه فتحاً وبداية لنور جديد يقود إلى الكنز وما أغلى كنوز المعرفة عند من يعرف مقدارها.



د. مصطفى محمود

«من مقدمة الكتاب»

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
AL al-BAYT UNIVERSITY

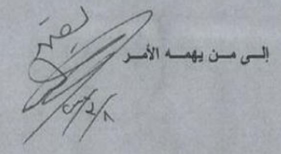
معهد الفلك وعلوم الفضاء

The Higher Institute for
Astronomy and space Science

الرقم :
التاريخ :
الموافق :

Ref.
Date :

إلــى مــن يهمــه الأمــر



تحية طيبة ، وبعد ،

فقد اطلعت على الموضوعات القرآنية العلمية المدرجة في الكتاب الموسوم :

" رؤية قرآنية / لقوانين الكون " لمؤلفه / أسامة علي الخضر

وأرجو الله تعالى أن يجزيه خيراً ، { وقد قيل ، العلم يدعو للإيمان ، وقيل الإيمان يدعو للعلم ، فكلاهما صحيح } .

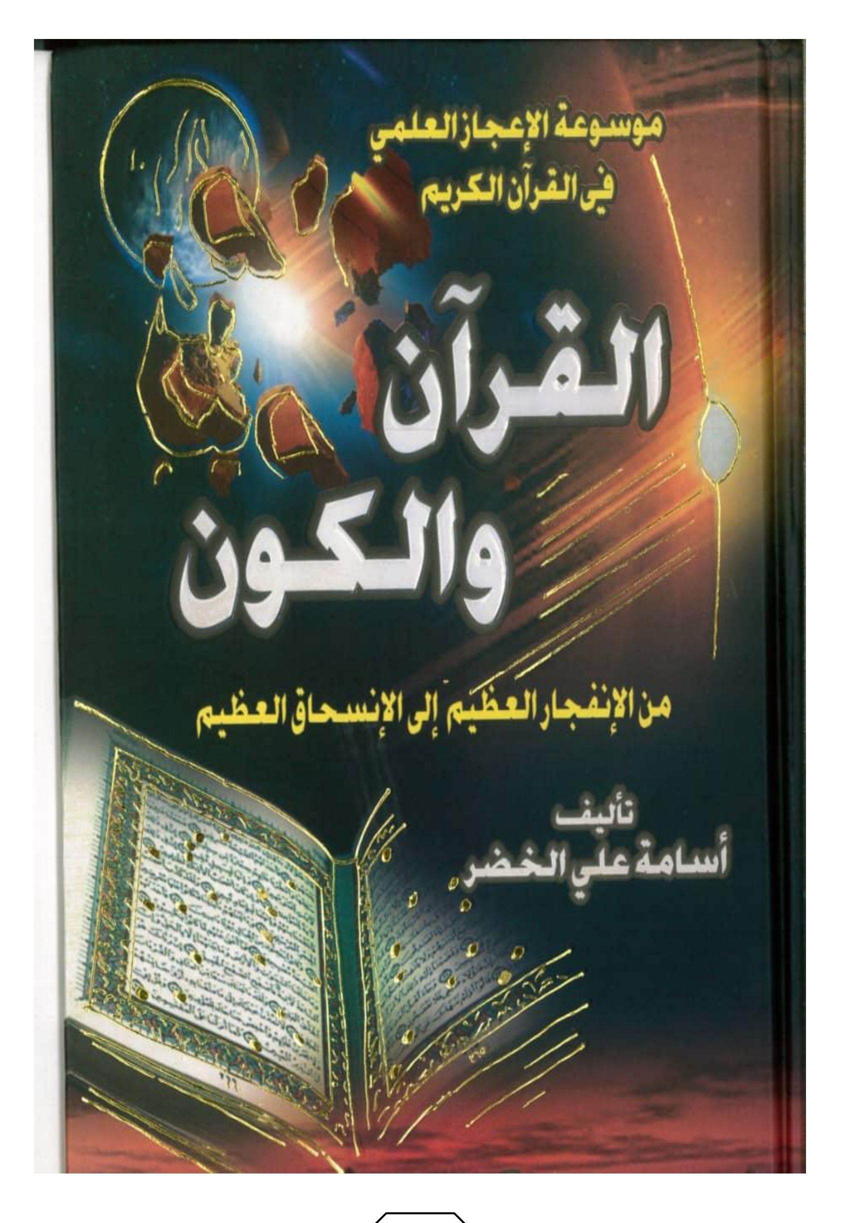
أود أن أشير بأن الباحث خطى خطوة جريئة ليست سهلة إطلاقا ، ليختار موضوعات مهمة وحساسة فيها الكثير من الأسرار والمجاهيل الكونية ، سبق وأن تطرق إليها علميا عباقرة الرياضيات والفيزياء الفلكية أمثال نيوتن وآينشتاين . فقد حاول السيد الخضر أن يربط ويناغم بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالكون وأسراره بما موجود لدينا نحن البشر من قوانين فيزيائية رياضية ، وكان موفقاً في العديد منها، وتمكن من إضافة جهداً جديداً خدمة للقرآن الكريم وبيان معارفه فجزاه الله خيراً وشفع القرآن فينا جميعاً وجعله حجة لنا لا علينا .

وأخيراً أبارك للمؤلف خلوص النية وعظيم الجهد ، سائلاً العلي القدير أن ينير خطاه لما فيه رضاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أ.د. حميد مجول النعيمي
مدير معهد الفلك وعلوم الفضاء

Amman - Tel.: 840190 - Fax.: 846721 - University (Mafraq): (04) - 432858 - Fax.: 871232 - P. O. Box: (772) Jubeyha - Amman. The H. K. of Jordan


موسوعة الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم
القرآن
والكون
من الإنفجار العظيم إلى الإنسحاق العظيم
تأليف
أسامة علي الخضر

Arab Union For Astronomy

And Space Sciences (AUASS)



الإتحـــاد العـــربي لعلـوم

الفضاء والفلك

Ref: الإشارة: ٢٠٧ / ٢٠٠١ / خ ق

Date: التاريخ: ٣ / ١١ / ٢٠٠١م

إلى من يهمه الأمر

لقد تم الاطلاع على الكتاب الموسوم " القرآن و الكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم " للمؤلف السيد أسامة علي الخضر . و قد بذل المؤلف فيه جهداً مشكوراً للتوفيق بين حقائق العلوم الفيزيائية و الفلكية و الكونية ، و بين بعض الآيات الكونية المسطورة في المعجزة الكبرى (القرآن الكريم) ، واستندت دراسته على قراءة واعية للحقائق العلمية و مشكلاتها الفلسفية التي تواجه الأوساط العلمية المعاصرة .

و نحن في الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك نشجع و نساعد هذه الدراسات العلمية القرآنية ، آملين أن تعم الفائدة من الكتاب المذكور لجميع أبناء الأمتين العربية و الإسلامية . و الله الموفق .

المهندس خليل قنصل

رئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء و الفلك

الاتحاد العربي لعلوم الفضاء و الفلك

عمان – الأردن

11814 ص.ب 141568

هاتف 5534754 / فاكس 5534826

هاتف ٥٥٣٤٧٥٤ ، فاكس ٥٥٣٤٨٢٦ ، ص.ب ١٤١٥٦٨ عمان ١١٨١٤ الأردن . الحساب المصرفي : (٠١٠١/٢١٨٠٢٤/٠٩-٤) بنك الإسكان

Tel.(962 6) 5534754 , Fax.(962 6) 5534826 . P.O.Box 141568 Amman 11814 Jordan. E-mail: auass@auass.org

Arab Union For Astronomy
And Space Sciences (AUASS)
Member of "Council of Arab
Economic Unity"-Arab League

الاتحاد العربي لعلوم
الفضاء والفلك
عضو مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
جامعة الدول العربية



Ref.:
Date:

الإشارة:
التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يهمه الأمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد

فلقد اطلعت وقرأت المؤلف (القرآن والكون "من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم") الذي أعد من قبل الاستاذ أسامة علي الخضر. ووجدت فيه طيف من الموضوعات المتنوعة المهمة ذات الفائدة القيمة للقارئ العام والمختص على حد سواء.

تطرق المؤلف إلى موضوعات تأريخية عامة وعلمية فلكية وفيزيائية بدأها بسيرة الرسول العظيم محمد (ص) وانتهاها بالكون المتمدد الواسع ، إذ أن مثل هذه الموضوعات باتت تثير أذهان الكثير من العلماء والمختصين وخاصة فيما يتعلق بأسرار الكون ومحتواه .

وزعت هذه الموضوعات على خمسة أبواب رئيسية تضمن الجزء الكبير منها علوم الطبيعة وعظمة الله سبحانه وتعالى وكتابه العظيم بآياته الكريمة التي وصفت السماوات والكون ومحتوياتهما من مختلف الأجرام السماوية وبالتركيز على قدرته تعالى فيما يتعلق بخلقه للكون المتمدد حالياً وأمره على طي هذا الكون أو السماء مستقبلاً كطي السجل للكتب وإعادة الخلق إلى اوله *"بأمره متى مايشاء"* . أعد الكتاب بأسلوب علمي شيق وفني بسيط بعرض جميل فجزاه الله خيراً على جهوده.

ونحن بدورنا إذ نقول في هذه الموضوعات أو بجزء منها:-

الحمد لله رب العالمين، فاطر السموات و الأرض، جاعل الليل سكنا والشمس و القمر حسبانا، الذي فرض الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا، و ولاهم قبلة يرضونها:

لقد فرض الإسلام من خلال فروضه و أحكامه على المسلمين استخدام العلم و توظيفه في حياتهم اليومية ليس على مدار السنة و الشهر و اليوم فحسب، و إنما على مدار الساعة، بل حتى الدقيقة و أجزائها.

و قد أمر الإسلام بالعلم و جعله فريضة على كل مسلم، و اقسم الله سبحانه و تعالى بالقلم و ما نسطر به، و رفع الذين أوتوا العلم درجات، و جعلهم قرناء لله و للملائكة بالشهادة على وحدانيته و قيمومته بالقسط. فانسحبت هذه الفروض و الأوامر على جميع المسلمين عامة، و على أهل العلم بخاصة، فالمسلم يجب أن يتجه (أيا كان موقعه على هذه الأرض) إلى القبلة خمس مرات كل يوم و ليلة، و القبلة محددة بموقع واحد

هاتف: ٥٥٣٤٧٥٤، فاكس: ٥٥٣٤٨٢٦، ص.ب ١٤١٥٦٨ عمان ١١٨١٤ الاردن، الحساب المصرفي: (٠١٠١/ ٢١٨٠٣٤/ ٠٤٩) بنك الاسكان

Arab Union For Astronomy And Space Sciences (AUASS)

Member of "Council of Arab Economic Unity"-Arab League



الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك

عضو مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
جامعة الدول العربية

Ref.: — الإشارة:

Date: — التاريخ:

فقط على هذه الأرض، ألا و هي كعبة المسلمين و قبلتهم، و ليس سهلا أن يتعرف الإنسان على اتجاه وقوفه نحو القبلة، و هو في مكان متغير و متباعد، من غير دراية أو علم، و قد ربط الإسلام فروض الصلاة، بحركة الشمس الظاهرية و مدارج الليل، فجرا و زوالا وعصرا و غروبا و عشاء. و ربط الصوم و الحج و هي أركان بنى الإسلام عليها بحركة القمر و دورانه و مطالعه، موقعا و زمنا و حركة. و ما كان من السهل على أبناء الجزيرة العربية في صدر الإسلام، أن يتعرفوا على موقع القبلة واتجاهها مثلا، لو لم يكونوا متمرسين في معرفة مواقع النجوم، و الاهتداء بمواقعها ومن ثم دراسة ورصد السماء ، ثم أن اتساع رقعة موطن الإسلام و امتداده في القرن الأول من الهجرة، على مساحة ثلثي المعمورة استوجب على المسلمين كافة أن يحسبوا الحساب الدقيق لأداء فروضهم، بروية صحيحة و سليمة و دقيقة. فتوجه الخلفاء و الأمراء إلى العلماء يشجعونهم على طلب العلم أولا، و توظيفه في خدمة الشريعة ثانيا، ليوحدوا أداء المسلمين لها ثالثا. حتى نهل العلماء المسلمون، باختلاف مناهجهم ومجالات علومهم، من مناهل المعرفة الوضاءة، وهم يبتغون وجه الله، تأدية فروضه، من كل ما سبقهم من علم أو معارف، للاطلاع عليها، و للتثبت من مصداقيتها من ناحية، و توظيفها في حياتهم اليومية و الشرعية من ناحية أخرى، مما تطلب الإبداع و الريادة، ثم توسيع قواعد العلوم ومعارفها، و ابتكار الأجهزة و الآلات المعينة لهم، و تحقيق أهدافهم فضلا عن بناء المراصد الفلكية، و إعداد الأزياج، و الجداول الفلكية، و التقاويم على اختلاف أنواعها و أغراضها، بغية إدراك الفروق القائمة بين التقويمين ، القمري والشمسي إذ هم أول من أدركها، و ابتكر النظام الستيني لحسابها، و تابعوا كل التغيرات الفلكية التي تؤدي بهم إلى ضبط حساب الأيام و السنين [لتعلموا عدد السنين و الحساب] (سورة يونس الآية 5)، و إلى أكثر من ذلك فيكونوا أكثر عشقا للعلم ليتقربوا إلى الله به.

من هنا كان الإسلام منطلقا ثوريا رائدا، و دافعا للعلم بعامة، و لعلوم الفلك والكون بخاصة، راسما منهاجا علميا دقيقا للمسلمين، للغوص في هذا العلم و التبحر فيه بغية تقديم المنفعة العامة للمسلمين في تأدية فروضهم ومناسكهم من جهة، و التفكير في خلق السموات و الأرض، تعزيزا لإيمانهم بالله سبحانه من جهة أخرى.

وحسب إعتقادنا فإن الذي يدفع العلماء والمؤلفين الأخيار من ضمنهم مؤلف هذا الكتاب على التفكير في الكتابة بمثل هذه الموضوعات اسباب كثيرة ، أهمها عظمة الله سبحانه وتعالى في خلق هذا الكون وطبيعته فيزيائياً وفلكياً ، لذلك نقول ان المؤلف كان موفقاً في اختياره لفصول الكتاب الخمسة (بالرغم من انه إستخدم بعض مصطلحات فلكية وعلمية غير معروفة أو غير متفق عليها ، إلا انها كانت مفهومة حسب اعتقادنا، وهذا طبيعي فهناك الكثير الكثير من المصطلحات المعربة غير المتفق عليها ، لذلك انا شخصياً

هاتف: ٥٥٣٤٧٥٤، فاكس: ٥٥٣٤٨٢٦، ص.ب ١٤١٥٦٨ عمان ١١٨١٤ الأردن، الحساب المصرفي: (٠١٠١/٠٣٤/٢١٨٠٣٤/٠٤٩) بنك الاسكان
Tel. (962 6) 5534754, Fax. (962 6) 5534826, P.O.Box 141568 Amman 11814 Jordan, E-mail: auass@auass.org

Arab Union For Astronomy And Space Sciences (AUASS)

Member of "Council of Arab Economic Unity"-Arab League



الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك

عضو مجلس الوحدة الاقتصادية العربية

جامعة الدول العربية

Ref.: الإشارة:

Date: التاريخ:

انصح دائما في عقد مؤتمرات عربية في هذه الموضوعات للإتفاق على أكبر كم ممكن من المصطلحات العربية في مختلف العلوم) .

وبناء على ماجاء أعلاه فقد وفق الزميل الاستاذ أسامة الخضر بربط الظواهر الطبيعية المتعلقة بالكون ومحتواه من المجرات والنجوم والشموس ، وما انزله الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم من آيات سماوية كونية تشير الى ان القرآن الكريم يُعد المصدر أو المرجع الرئيسي للبشرية في وصف الطبيعة الكونية والسماوية ابتداءً بالشمس والقمر والارض ومروراً بالمجاميع الشمسية والمجرات والمادة بين النجوم والمجرات ثم الكون المرئي وانتهاءً بالكون الحقيقي ، بدلالات فيزيائية ورياضية فلكية دقيقة شملت الإتزان والتوازن (.. والسماء رفعها ووضع الميزان ..) من خلال حركات الأجرام السماوية المستمرة ،كل منها دون إستثناء يسبح في فلك خاص بها (... وكل في فلك يسبحون ...) .

ونحن من موقع تخصصنا "الفيزياء الفلكية" نؤيد المؤلف بصورة عامة بما ذكره حول علوم الفلك والكون حيث كان جيداً في العرض والتقديم فبارك الله جهوده الخيرة.

وأخيراً أود أن أقدم شكري الجزيل وتقديري الجميل للأستاذ أسامة الخضر على جهوده في إعداد مثل هذا الكتاب وموضوعاته القيمة، وخاصه وأن المكتبه العربية تفتقر إلى مثل هذه الكتب، متمنين له الموفقية ومزيداً من العطاء المثمر.

والله ولي التوفيق

1.9.04

أ.د. حميد مجول النعيمي

أستاذ الفيزياء الفلكيـــة

رئيس قسم الفيزياء/ جامعة الامارات العربية المتحدة

نائب رئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك

عضو الاتحاد الفلكي الدولي

halnaimiy@uaeu.ac.ae

أيلول / سبتمبر 2004

هاتف : ٥٥٣٤٧٥٤، فاكس: ٥٥٣٤٨٢٦، ص.ب ١٤١٥٦٨ عمان ١١٨١٤ الاردن، الحساب المصرفي: (٠١٠١/٢١٨٠٣٤/٠٤٩) بنك الاسكان

Boston University
Dr. Farouk El-Baz, Director
Center for Remote Sensing
725 Commonwealth Avenue
Boston, Massachusetts 02215-1401



Telephone: 617/353-5081 http://www.remote-sensing.bu.edu Facsimile: 617/353-3200

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العزيز أسامه على خضر

تحياتى وأطيب أمنياتى وبعـــد،

لقد وصلنى منك كتاب « رؤيـة قرآنيـة لقوانين الكون » وآخر بعنوان « القرآن والكون من الإنفجار العظيم إلى الإنسحاق العظيم »، وأشكرك على ذلك كثيراً.

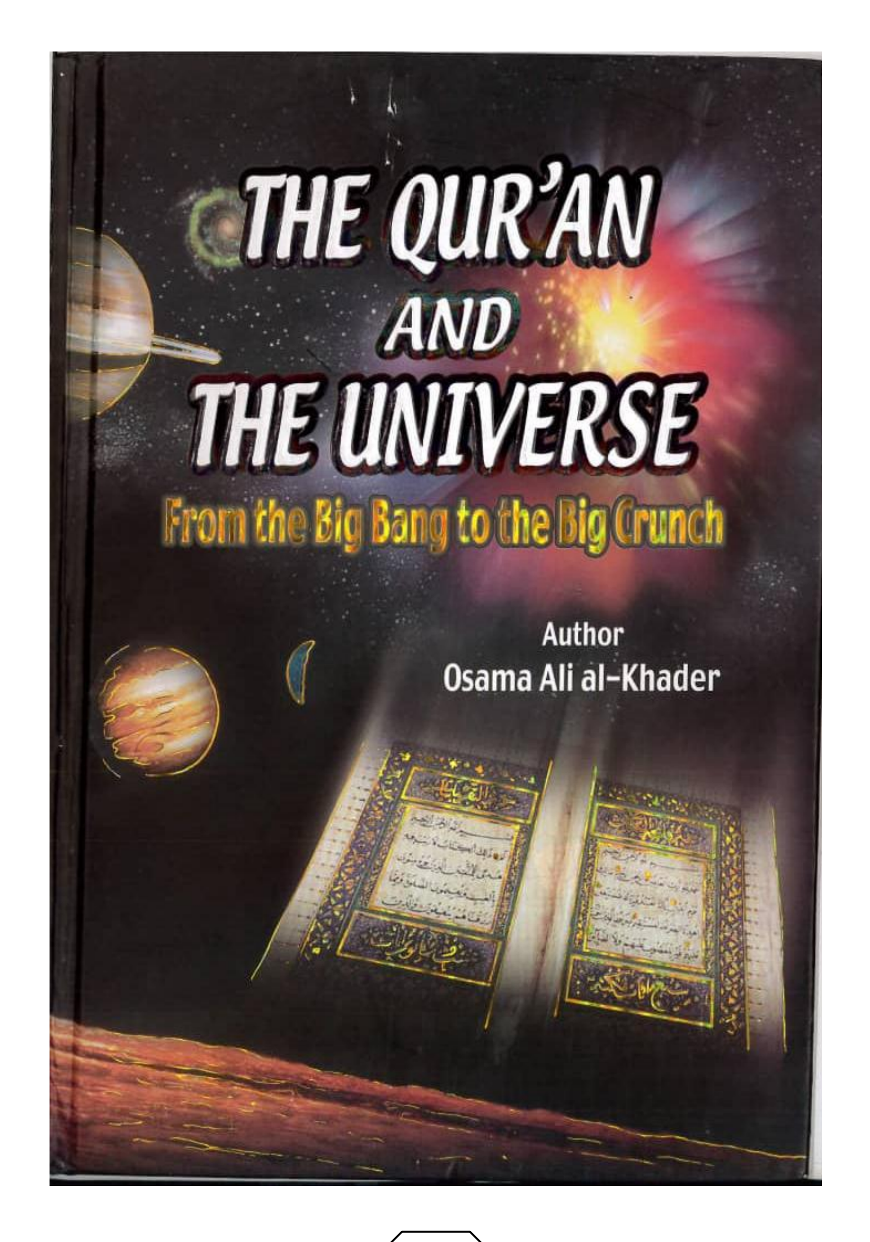
لقد سعدت كثيرا بما ورد فى كتاب « القرآن والكون ...» وأهنئك على هذا العمل القيم. ان فى تفسير آيات الله نفع للعالمين وخاصـة إن القرآن يحثنا على التمعن فيما خلقه الله من حولنـا.

ليس هناك من شك فى أن التمعن فى السماء يمنيف قسطا من الإيمان فمثلا ما رآه رواد الفضاء الذين رحلوا إلى القمر أزاد من إيمانهم بالخالق عز وجل وقدرتـه على توازن الأجرام السماويـة وتأثيرها على بعضها.

أكرر تهنئتى وتحياتى متمنياً لك المزيد من التقدم والإزدهار،

فاروق الباز

٢٠٠٤/٨/١٧


THE QUR'AN
AND
THE UNIVERSE
From the Big Bang to the Big Crunch
Author
Osama Ali al-Khader

Princeton University

President's Room

Nassau Hall

Princeton, New Jersey 08544-0015

April 3, 2006

Mr. Osama Ali Al-Khader
National and Matches Company Tobacco
Sana'a
REPUBLIC OF YEMEN

Dear Mr. Al-Khader:

Thank you very much for sending your book, *The Koran and the Universe from the Big Bang to the Big Crunch.* It is an interesting look at the relationship between physics, astronomy, cosmology and the Koran. The subject of science, faith and the origin of the universe is certainly a topic that is on the minds of many in the United States. I would be glad to pass it on to those at Princeton who are studying these topics.

It was kind of you to share your book with us. With all good wishes,

Sincerely,

SM Tilghman

Shirley M. Tilghman

STANFORD
UNIVERSITY



March 17, 2006

Mr. Osama Khader
Ministry of Foreign Affairs
Alolofi Square
P. O. Box 1994
Sana'a
YEMEN

Dear Mr. Khader:

Thank you for your recent letter. We appreciate your thoughtfulness in sending us a copy of your book, *The Qur'an and the Universe: From the Big Bang to the Big Crunch.*

Thank you for your interest in Stanford University, and best wishes for the future.

Sincerely,

Office of the President

/k

Office of the President
Building 10, Main Quadrangle Stanford, CA 94305-2060 T (650) 723-2481 F (650) 725-6847





يومية • سياسية • جامعة | تأسست في 29 سبتمبر 1962م

ثروة علمية تنتظر الدعم لترى النور

موسوعة "أسرار الكون والحياة والإنسان بين العلم والقرآن" للمفكر اليمني أسامة الخضر

الثورة / محمد محمد إبراهيم

((Distinct work)) تعني "عملٌ مُتميِّز".. هكذا صُنِّف كتابه الأول (رؤية قرآنية لقوانين الكون1998-م) في مكتبة (Good Reads) الأميركية.. ككتاب قامت فكرته على تتبع إعجاز القرآن الكريم في علم الفيزياء النظرية.. قدّم الكتاب المفكر الإسلامي الشهير د مصطفى محمود.. أما كتابه الثاني (القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم 2003م) فتم تأليفه تحت إشراف الجمعية الفلكية الأردنية، ليصدر بمقدمتين مميزتين للمهندس خليل قنصل رئيس الإتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك- آنذاك - والبروفيسور حميد النعيمي عضو الاتحاد الفلكي الدولي.. وترجم إلى الإنجليزية، ووضع في مكتبات جامعتي أيلنيوي ومِشْجَن الأميركيتين كمرجع تثقيفي في مجال علم الكون الإسلامي..ليتلقى الباحث بعد إنجازه عدة رسائل تقديرية أبرزها من عالم الفضاء العالمي فاروق البّاز، وجلالة الملك عبدالله الثاني ملك الأردن، والأمير حسن بن طلال، وحاكم الشارقة.. كما حاز كتابيه على تقدير عال واهتمام كبير من أكبر الجامعات الدولية المشهورة.

إنه الباحث اليمني الجليل المفكر الإسلامي أسامة علي الخضر باحثٌ سخر عقله في دراسة وإبراز أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم خاصة بعد رسوخ الثورات العلمية الحديثة.. لينجز على مدى (10) أعوام موسوعة علمية ضخمة تتجاوز صفحاتها الـ2000 صفحة؛ بعنوان "أسرار الكون والحياة والإنسان بين العلم والقرآن".. حرص المؤلف فيها على إبراز قضيتين الأولى التشابه بين الثورات العلمية. والثانية السبق العلمي للقرآن الكريم لكل هذه الثورات، وذلك من خلال طرح علمي شَمِلَ عُلُوم:الرياضيات، الفيزياء، الفلك، الكون، الجيولوجيا، الحياة، والنفس، الباراسيكولوجي، (الظواهر النفسية والروحية) وغيرها من العلوم.. كما تطرقت الموسوعة إلى دراسات نظرية لـ التصميم الذكي للكون والحياة، مقارنة الأديان، السيرة النبوية الشريفة، فلسفة القانون.



• أسامة الخضر

إلى القارئ العزيز

نظراً لأن هذه الدراسة المختصرة تحتوي على طيف متنوع من العلوم وبسبب محدودية المجال الذي كان متوفراً للمؤلف فلا شك أن هناك بعض الأفكار التي كانت بحاجة إلى الكثير من التوضيح، وبناء على ذلك أتمنى على القارئ العزيز أن يفيدنا بالتعليقات والآراء عبر البريد الإلكتروني للمؤلف (alkhader.osama1@gmail.com) .

والتي ستكون عوناً في توضيح الكثير مما كان غامضاً في هذه الدراسة الموجزة في الدراسة الموسوعية التي يتم تجهيزها لترى النور بإذن الله تعالى .

المؤلف

أسامة علي الخضر

محتويات الكتاب

نبذة عن المؤلف



اسامة علي أحمد الخضر

مفكر موسوعي و باحث إسلامي اهتم بإبراز أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أصدر كتابه الأول بعنوان (رؤية قرآنية لقوانين الكون) عام ١٩٩٨م و كتب له مقدمته المفكر الإسلامي و الطبيب و الفيلسوف د. مصطفى محمود صاحب برنامج (العلم و الإيمان) ثم أصدر كتابه الثاني بعنوان (القرآن و الكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم) و قد كتب له مقدمته المهندس / خليل قنصل رئيس الإتحاد العربي لعلوم الفضاء و الفلك سابقاً و البروفيسور/ حميد مجول النعيمي عضو الإتحاد الفلكي الدولي و قد تم ترجمة كتاب (القرآن و الكون ...) إلى اللغة الانجليزية و حصل على عدة رسائل تقديرية من كبار العلماء مثل عالم الفضاء العالمي د. فاروق الباز ومن العديد من الجامعات العالمية مثل جامعة برنستون و جامعة ستانفورد و جامعة هارفرد و قد أصبح مرجع علمي للعديد من العلماء و الباحثين في شتى أنحاء العالم و قد أنتهى مؤخراً من تأليف موسوعة علمية شاملة تدرس بشكل أكثر تفصيلاً ترابط كل المعرفة في مختلف ميادينها و بيان إعجاز القرآن الكريم في جميع العلوم و الموسوعة تنتظر أن ترى النور بإذن اللّه .

alkhader.osama1@gmail.com